

الدكتور
راجي عباس التكريتي

حفلة تعذيب صاخبة


م. سرمد حاتم شكر

الأخ الدكتور مظفر زبيد القاسم

مع تحياتي

[illegible]

١٥/١١/١٩٦٤

لكي لا ننسى

الدكتور
راجي عباس التكريتي

حفلة تعذيب صاخبة

صورة مفزعة من أساليب الشعوبيين
في التحقيق والاستجواب
مع القوميين الاحرار
بعد ثورة
الشواف

- الطبعة الاولى -

طبع الكتاب بموافقة رئاسة اركان الجيش حسب كتاب مديرية التدريب العسكري المرقم ٤٣١ والمؤرخ ٣٠/٥/٤ ١٩

١٩٦٤

مطبعة العاني - بغداد

السعر ١٠٠ فلس

الإهداء

الى شهداء وطننا العربي الذين ضحوا بانفسهم على مذبح الحرية والاشتراكية والوحدة العربية .

الى الذين صمدوا أمام التيارات الشعوبية ولا يزالون صامدين من أجل الحرية والاشتراكية والوحدة العربية .

الى الذين عملوا ولا يزالون يعملون في سبيل الحرية والاشتراكية والوحدة العربية .

مقـــدمة

اخلاق ٠٠٠ ثم اخلاق ٠٠٠ ثم مبادىء

هل الشيوعيون أصحاب عقيدة ؟ قد أقول لا ! وهل الشيوعيون اصحاب اخلاق وكرامة ؟ استطيع الجزم : ان لا!!

الشيوعيون عندما عذبوا الالوف واهانوا الكرامات واستعملوا الاساليب الوحشية ، وسلطوا منظماتهم ، وهي ابعد ما تكون عن الدمقراطية ، لتسكت الالسن وتحارب الحريات ولتضفي النعوت من عمالة وخيانة وتجسس ورجعية بلا حساب لكل من خالف مبادئهم ان كانت عندهم مبادىء ، ووصفوا الوطني بالخيانة ، والمخلص بالجمود ، وصاحب الرأي الحر بالسطحية ، ومن حارب الاستعمار الاحمر بالعمالة الامريكية ، ومن حاججهم بوجوب الحفاظ على تقاليدنا الطيبة ، وكرامتنا واخلاقيتنا بالرجعية ، وقالوا اننا لا نفهم معنى التطور • فهل معنى التطور التخلي عن المثل الانسانية ، والتمثل بمثلهم المبتذلة ؟ • لقد كنت اناقش واحاجج بكل صراحة واستقامة وسلامة نية ، وكثيرا ما انصحهم عن اخلاص واذكر لهم مدى تدهورهم في اعين الشعب وتدحرجهم الى الحضيض ، وحاولنا ان نمد لهم ايدينا لانقاذهم مما هم فيه ولكنهم حاولوا بكل صلافة قطع هذه الايدي المخلصة •

ذهبت بعد ثورة رمضان المباركة للسجن والتقيت بأحد اقطابهم والذي كان له دور فعال في النشاط الشيوعي وجلست اربع ساعات احاوره واذكره عما كنا نقدمه لهم من نصائح وكيف كانوا سادرين في غيهم وقد طال الحديث وتشعب وضرب على نفسه مثالا وهذا ما قاله بعد ان امسك علبة الكبريت بيد وسحب نفسا طويلا

من سيكارته ، وقال :

شوف دكتور راجي هذه (شخاطة) عندما تضعها على بعد مسافة مناسبة من عينيك ، فانك تستطيع وصفها بوضوح ولكن عندما أضعها فوق عيني ـ وفعلا اطبقها على عينه ـ هكذا فاني لا استطيع ان ارى منها شيئا سوى قطعة سوداء • فهكذا كنتم خارج حلقـة صراعنـا فكنتم تشاهدون اخطاءنا ومصيرنا اكثر مما كنا نعرف نحن الذين كنا داخل الدوامة حيث لم نكن نرى شيئا من حولنا الى ان كان الاصطدام ووقعنا في قعر الهاوية • وهكذا يعلل القطب الشيوعي ان (الشخاطة) اعمت بصره • ولكن لا ادرى لماذا يضع الكثير ومع سبق الاصرار (الشخاطة) ملاصقة لاعينهم فتعمي ابصارهم ولا تدعهم يرون ما يدور عبر الامواج المتلاطمة المحيطة بهم ولا تعطيهم مجالا للتفكير والانكى من ذلك انه عندما يحاول البعض انتشالهم من هذه الامواج وازاحة (الشخاطة) عن اعينهم يجابهونه بلا تردد بانـه سـطحي ، ذيلي ، رجعي ، غير ثوري •

اني لا أكون متطرفا اذا قلت بان الشيوعيين عاملونا تلك المعاملة الوحشية القاسية ، لانهم بلا اخلاق ويفتقرون الى الروح الانسانية والكرامة • اما انهم ذوو عقيدة ومبدأ فهذا اشك فيه ، ان لم انكره •

فالقضية ليست قضية مبادىء وانما قضية اخلاق وازمتنا ليست ازمة سياسية بقدر ازمتنا الاخلاقية فالصراع الآن دائر بين اخلاقيين وغير اخلاقيين والويل للاخلاقيين اذا كان السيف مسلطا على رقابهم وقبضته بيد اللا اخلاقيين فعندما كنت مشدودا بواسطة الفلقة وانـا اشعر بان اظافري تتطاير من شدة الضرب وعظامي تتهشم تحت قسوة الهراوات وأنا اجابه بكلمات ومحاججات ، كنت أقولها أمام أصدقائي وزملائي (أو هكذا كانوا يتظاهرون) عندما كنت احاججهم لارشدهم وانقذهم مما هم فيه من ظلال* مبين بينما هم كانـوا يسـجلون علي

* ضلال.

الحركات والسكنات وهذه بعض الامثلة :

كان (ث • ن • هـ•) زميلا لي منذ السنة الاولى في الكلية الطبية وتخرجنا معا وانجرف في التيار الشيوعي وحاول اكثر من مرة استمالتي ولكني كنت عنيفا معهم لا سيما بعد الاعمال التي قام بها الشيوعيون بعد سنة ١٩٥٨ • وبعد اعتقالي نصب نفسه مساعد آمر المستشفى فكان يعقد الحلقات الحزبية في غرفته ويلتهم بلسانه (القذرين المتامرين) وهذا ما كنت اجهله طبعا في حينه ، وانحسر المد الاحمر واذا به اول الناكصين ولو بالمظاهر وزارني مع عروسه في داري وهو يلعن الشيوعية والشيوعيين وهو يقسم يمين الولاء والاخلاص للصداقة التي لا تشوبها شائبة ! وحاولت ان أكون على اتصال معه لأرى مدى صدقه وكان سفري الى لندن للدراسة وبعد فترة رشح هو الاخر للبعثة واذا برسائله تاتي تباعا وكلها تودد وتوسل واستعطاف وكفر بالماضي وبانه صديقي المخلص والاخ الذي لا يدانيه احد وذهبت معه كثيرا وبذلت المستحيل لاحصل له على قبول في الجامعة وشاءت الظروف ان يكون امتحاني على الابواب وكلفت الاخ ك•ع•ع بان يقضي حوائجه واذا به يقطع مراسلتي حالا ويحول كلامه المعسول للأخ ك•ع•ع• وقلت دعني اسير معه الى مدى ابعد وقدم الى لندن ورحبت به وبزوجته كثيرا والتي اذا سألها أحد عن مبدأ زوجها تجيبه حالا : (الزمال شيوعي !) ولاقيتهما أكثر من مرة وكان في كل مرة يلعن الشيوعية والشيوعيين ويؤكد انه قطع علاقته معهم ولكني من طرف آخر كنت اسمع عن اتصالاته واجتماعاته مع الشيوعيين وشاءت الصدف وقبل العودة الى الوطن ان نكون جميعا مدعوين في بيت الاخ ابي نبيل واذا بالدكتور (ث) يفلت من مجلس زوجته ويجلس بجانب احد الزملاء الشيوعيين وسرعان ما خاض معه بحديث وبطريقة هامسة وقد نسى (الاغبر)

ان حديثهم كان يتناهى الى مسامعي بوضوح حيث (تعامى) عن مكاني القريب خلفهم واذا بكلامهم كله يدور عن نشاط زملائهم في العراق وما يلاقون من اضطهاد ووجوب العمل لمساندتهم ومساعدتهم •

وشاءت الظروف ان اكون في اللجنة التي تشكلت في مستشفى الرشيد العسكري بعد ثورة رمضان لجمع المعلومات عن الشيوعيين فارى اكثر من دليل على نشاطه الشيوعي وكتابته التقارير ايضا وعن التطاول علي شخصيا بكلمات بذيئة امام اصحابه الحمر المیامين • ويعود للعراق بعد ثورة رمضان واذا به بعثي ! (موديل ١٤ رمضان) لماذا ؟ لان زوج اخت زوجته بعثي قيادي • فتلعب هذه العلاقة (العقائدية) دورها فيفلت (الدكتور ث) من عقاب الحساب والقانون • فهل اعتبر هذا الشخص صاحب عقيدة ام انه كائن لا اخلاقي ؟ • قد يسأل سائل ان هذا (الكائن الحي) لا يهم المجتمع بلا اخلاقيته المفككة بمفرده بالنسبة للشعب ولكن أقول ان العراق ازدحم على سعة أرضه بامثال هذا اللا اخلاقي وان التقلبات التي مرت على العراق خلال السنوات الخمس الماضية كشفت لنا عن فائض من اللا أخلاقيين اذا صدرناهم الى العالم فبامكانهم ان يفسدوه بلا عناء وربما حولوه الى عالم لا أخلاقي والعياذ بالله ! •

ومثال آخر ـ طبيب ـ ح ـ ويعتقد انه ابو قراط ـ أبو الطب ـ وان أبا الطب العربي الشيخ ابن سينا لا يؤتي علمه الفائظ* •• وانه ـ وانه ••

وتطرق الحديث مرة وتشعب ووضع عبدالكريم قاسم على المشرح ـ واذا به يثور ويرغي ويزبد وتظهر الفقاعات والزبد على جانبي فمه وينقلب الحمل ذئبا والصعلوك عفريتا وبصوت هستيري •

ـــ شوف راجي ما اسمحلك تتكلم على الزعيم عبدالكريم •

ـــ لكن ح• اشصار بيك ـ هذا مو بس رأيي ولكن رأي

* الفائض.

الشعب العراقي والعربي برمته •

ـ ان الزعيم عبدالكريم عبقري ولكن الشعب العراقي كسيف وجاهل ولا يقدر هذه العبقرية •

وخرج من الغرفة وهو يعربد ويرغي ويزبد ويوعد ويتهدد •

وبعد ١٤ رمضان المباركة

وانا اسمع البرقية من المذياع والتي رسلت عبر القارات والبحار •

•••••• وخلصتم الشعب العراقي من الطاغية المجنون ••

التوقيع ح •

وقلت بصوت عال سمعني من كان معي في السيارة لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم •

وبعد رجوعه ـ واذا به يشتم هذا وينال من ذاك ولم يسلم احد من لسانه او اساءته •

واذا سألته

قليل من الاخلاق ـ قليل من التواضع قليل من الوفاء •

اجابك وهو يمد يده مشيرا الى السقف آني إيم ـ آآر ـ سي ـ بي ولا يكون جواب السامع الا انيحرك رأسه اسفا على اولئك الذين يقيسون الاخلاق ، بالشهادات أو المال والعقار •

انها ازمة وايم الحق ولكنها ليست ازمة سياسية ، وليست ازمة شهادات ولا ازمة مبادىء ـ ولكنها اولا واخر ازمة اخلاقية •

وهناك امثلة كثير جدا فمثال آخر طبيب مشهور في الجراحة ، لا اريد ان اخوض سلوكه الخاص وانما اناقش حياته السياسية • كان قبل ١٤ تموز ٥٨ لوكس ملوكي ! وسمع بالمد الشيوعي واذا به شيوعي متطرف ! وبعد اشهر انحسر المد فاذا به من الحزب الوطني

الدمقراطي أول باب ! ولكن ما ان سمع بغضب عبدالكريم قاسم على الوطني الدمقراطي فاذا به قاسمي مقدام ! وكانت ثورة ١٤ رمضان واذا به بعثي من الطراز الاول ، ولم يكتف بهذا بل أخذ يهاجم بعض الزملاء من الذين ضحوا بالكثير وصمدوا في وجه التيارات التي هبت على القومية العربية ، ولكن صاحبنا لا يستحي عندما يعرف نفسه بانه اكثر قومية من فلان واكثر عروبة من فلان ، أليست القضية قضية اخلاق ؟

ومثال آخر :

في احدى الايام عندما كنت اعمل بعيادتي في مستشفى الرشيد العسكري استلمت ظرفا رسميا وقد طبع عليه ختم المستشفى من جميع الجهات وفوقه كتب : سرى وشخصي .

قلت في نفسي يا ساتر ! يا الله ! وفتحت الكتاب بسرعة واذا بي اقرأ تشكيل مجلس تحقيقي برئاستي وعضوية زميلين من الاطباء للتحقيق في قضية تلاعب في ميزان ارزاق المرضى .

وتسارعت الى فكري آنئذ الاشاعات التي تناقلتها الالسن حول التلاعب بارزاق المرضى وكم بذل الاطباء وآمر المستشفى من جهود لمعرفة المتلاعبين من غير طائل ولكن ها هو الاخ الزميل اكرم الهلالي يمسك برأس (الشليلة) وتركوا الباقي لي ولزملائي وهنا ارتسم امام مخيلتي المرضى من جنود جيشنا الباسل الذى ندفع به في خضم المعارك والازمات ومع هذا يوجد من يخونه في طعامه وفي قوته اليومي ؟ اتصلت بالاخوين الزميلين أعضاء اللجنة وشرحت لهما القضية وقرأت لهما الكشف فابتدرني أحد الزملاء :

اخاف احنا نتعب وانكبح وجهنا وبعدين تلعب الوساطات

بالموضوع واحنا نبقى بصخام الوجه ؟ فاجبت الاخ الزميل :

شوف والله سادع التحقيق يأخذ مجراه ولو ان اسم اي شخصية كبيرة أو صغيرة وارد في الموضوع لاستدعيتهم للتحقيق ولو اعطيت صلاحية بعد اثبات السرقة لالزم السيف واضرب يد السارق وادعه يسير في المستشفى ليكون امثولة للعابثين ، واخذ التحقيق مجراه الطبيعي وتوصلنا الى معرفة اشياء كثيرة وعلمنا ان مواد غذائية كثيرة من ارزاق المرضى تهرب الى بيوت بعض الضباط المشرفين في المستشفى (من غير الاطباء) واذا بالسارق الاول ورتبته رئيس اول ع٠ح٠أ٠[1] واذا فتح فاه ، واخرج لسانه ، تراه (أبو) الاخلاص والوطنية والقومية والنزاهة والاستقامة ايضا ! ومع هذا فقد هرب الكثير وفي سيارات المستشفى ، ولكن الادهى والامر ان يذهب الى احد اصدقائه ومعارفه ويتجول بين الضباط في مقر وزارة الدفاع ولا يخجل ان يكيل لي سيلا من الشتائم وعلى مسمع جماعة من الضباط :

بان دكتور راجي ما خوش آدمي لان لوث سمعته الشريفة ، النظيفة ، العفيفة ، ولم يتورع لسانه النظيف ان يضيف : هذا راجي فد واحد بعثي تكريتي !!!٠ (هكـذا تكون الوطنية والاخلاص والا فلا !) وعندما اخبرني احد الاخوان الضباط الذين سمعوا (عنتريات) الرئيس الاول سارق طعام الجنود المرضى امس والذي يتغنى اليوم بالقومية لم اقل الا ما قاله المتنبي :

واذا اتتك مذمتي من ناقص   فهي الشهادة لي بانى كامل

---

(١) وبعد ان رفعت القضية الى المسؤولين في وزارة الدفاع الغيارى على مصلحة الشعب وحماة الشعب أبناء جيشنا الباسل حتى لقنوه درسا قاسيا سيكون امثولة لمن تخول لهم انفسهم خيانة واجبهم أو يتجاسرون على الغش والاختلاس ٠٠

من السهل اذن ان نعثر على شخص يقول أنا قومي أو انا بعثي او انا شيوعي .. ولكن اليس من الصعب ان تثبت اخلاقية هـذا الانسان اذا تقلب الزمان ؟

الامثلة كثيرة وكثيرة جدا فكثيرا ما يدعم سيارتك شخص ما ويؤذي سيارتك ومع هذا ينزل عليك حانقا شاهرا لسانه السليط وربما قد يحمل معه (الهندر) ايضا اما اذا رآك بملابس عسكرية فيمتليء استجداء وتوسلا !! والله عمي صاحب عائلة والله عمي هاي اول مرة ادعم بها ، ابختك عمي .

وتسير بالشارع واذا باحد آل (أبو جاسم) يضربك بكتفه ومن ثم يحملق بوجهك غاضبا وربما اسمعك كلمة نابية لانك لم تفسح له الطريق ولا تتخلص منه الا بشق الانفس وربما تعتذر له وانت ممنون ولـكن ما ان تفترق عنه وقد ضاع وسط الزحام حتى تكتشف انك فقدت محفظة نقودك او ساعتك او ربما عقلك في اغلب الاحيان !

انت لا تستطيع ان تسمع صوتك في سوق الصفارين ونحـن الآن في العراق اشبه ما نكون في سوق الصفارين حيث يكثر الضجيج وتتخالط الاصوات ولا من سميع ولا من مجيب فالـكل يريد ان يتكلم ولكن لا احد يريد ان يسمع لان كل واحد هو (ابو جاسم) وان آراءه هي الصحيحة وأقواله تصيب كبـد الحقيقة ويجب على الباقين ان يدعـوه يعمل ما يشـاء والويل لمن يقول له على عينـك حاجب !!

تفسير الشيوعيين للاخلاق عجيب غريب فاذا قدر لك ان تناقش شيوعيا ـ لا سامح الله ـ فانك ستخرج بحقيقة واحدة وهي ان هذه الفئة تغالط الحقيقة والعرف والنظم الاجتماعية والتاريخ . وان المجتمع بقيمه وصـفاته الحميدة ومثله المجيـدة يجب ان يزول لتحل محله الاخلاق الشيوعية التي لا سبيل لها الا خدمة مصالح من بيده زمام

السلطة وتسيطر على وسائل الانتاج وقد رأينا هذه الاخلاق جيدا او بالاحرى بداية الطريق في اخلاق الشيوعيين عند بداية مدهم الاحمر وكيف جردوا أنفسهم مرة واحدة من كل مزايا الشرف والامانة والاخلاص والكرامة والنبل والاستقامة والصدق وقد رأينا كيف نزعوا جلود الخراف وانقلبوا الى حيوانات ضارية بين عشية وضحاها وأخذوا ينهشون كل من صادفهم في عرض الطريق دون تفريق بين عدو او صديق . ولقد رأيناهم جيدا كيف كانوا يصرخون ويهتفون ويركضون وراء لا شيء وانما وراء السراب ، لقد انحدروا الى مستوى الحيوان الذى يركض وراء من يلوح له لمجرد ان يوهمه بانه سيقدم له طعاما اجل لقد ركضوا وراء قاسم مجرد ان لوح لهم من بعيد فنسوا المبادىء والديمقراطية التي يتغنون بها وركضوا وراء فــردية قاسم وهللوا لدكتاتوريته وباركوا وحدانيته وصفقوا لاعدامه الضباط الاحـرار وهتفوا لخطاباته الرعناء فاين هي الاخلاق ؟ او دعوني أتساءل اين المبادىء ان كانت لهم مبادىء ؟ الشيء المؤسف حقا ان يحاول بعض اصحاب المبادىء الاخرى ان يقتفي الاثر نفسه لا من الناحية التنظيمية فحسب وانما السير في الخط التدهوري اللا اخلاقي نفسه فتتكــرر المأساة واذا بنا نقف وجها لوجه امام التاريخ من جديد ولكن التاريخ عاد لنا هذه المرة يمشي على رأسه وارجله معلقة في الهواء .

أليس الاجدر بنا بعد ما رأينا ان نفكر بثورة اخلاقية فنقوّم ما اعوج به من سجايانا وما ابتلينا به من الادران العالقة بمجتمعنا الذي بدأت الاهواء تعصف به ذات اليمين وذات الشمال ؟. اني استطيع ان اجزم والسنوات التي مضت دليل صارخ على ما اقول ان الثــورات التالية التي حدثت جاءت معكوسة لا لعدم اخلاص القائمين او عجزهم عن اداء الرسالة التي جاءوا من اجلها ولكن السبب انهم اصطدموا

بـ (اللاخلاقية) من قبل الكثيرين وحتى العاملين معهم منذ زمن بعيد وكادوا في اكثر من مرة يقضون عليهم او بالاحرى كادت تتغلب اللااخلاقية على الاخلاقية ولكن الله سبحانه وتعالى ينقذ السفينة في كل مرة قبل ان تغرق في ظلمات المحيط • الحقيقة ان الاخلاقيين في حيرة من أمرهم لانهم في كل مرة يكادون يقعون في بحر اللا اخلاقيين العميق واعتقد ان السبب هو ان الاخلاقيين سائرون دائما بطريق مستقيم واضح ولهذا فهم مكشوفون ظاهرون للعيان اما اللا اخلاقيين فيدخلون البيوت من شبابيكها ويسيرون في طرقات ضيقة ملتوية يحسنون السير بها بكل هدوء واطمئنان للوصول الى غاياتهم الدنيئة بالاضافة الى انهم يتلونون بلون الاناء الذي يحلون فيه •

قد يحلو للبعض ان يفلسف بعض امراضنا الاجتماعية فيقول ان القضية نسبية فما يكون لا اخلاقي عندك هو اخلاقي عند غيرك وربما يعجبه ان يأتي بامثلة فيقول اليس النهب والسلب عند الانسان البدائي نوع من الشجاعة ؟ ونحن نعتبرها اعمالا منكرة قد يكون في المثال الآنف الذكر نوع من الصحة ولكن أليست هناك حقائق مطلقة متفق عليها ونعترف بها وندين بعرفها فقد ذهب الوقت الذي يفكر فيه انسان بالاعتداء على الناس وسلب أموالهم وسبي نسائهم ويسمى هذا شجاعة فلقد انقشعت غيوم الشتاء الثقيلة وقد طلعت الشمس (على الحرامية) وانا مررنا بتجارب ثقيلة قاسية ولقد ذقنا حلاوة (الشعارات) البراقة وذقنا (مرارتها) ملء الاشداق وعشنا لياليها الحالكات بدقائقها وثوانيها التي كانت تمر علينا ببطء وتثاقل وهي تسحق عظامنا تحت وطأة (الحرية والسلام) لقد آن الاوان لان نقف بوجه الظالم ونقول له : كفى بك يا ظالم وان نقول

لاصحاب الشعارات الرنانة ان خبئوا شعاراتكم بعيدا عن اعين الشعب ثم تواروا عن الانظار ان كنتم تستحون . الم تطلع علينا الشيوعية بشعار (وطن حر وشعب سعيد) فهل الشيوعية - حقا - تسعى الى وطن حر وشعب سعيد ؟ فهل سعى شيوعيو العراق الى تحقيق وطن حر وشعب سعيد ؟ الم يردد الراقصون في الشوارع والساحات هذا الشعار وامثاله من الشعارات الرنانة ؟ الم تتوج صحفهم والصحف الدائرة في فلكهم امثال هذه الشعارات بلا حياء ؟ اللهم اذا كان معنى الحرية زج الالوف في السجون والمعتقلات وتحويل العـــراق الى سجن كبير وفي كل بيت رقيب وفي كل حارة متجسس بالاضافة الى المجازر الدموية في الموصل وكركوك التي كانت بداية لتشمل العراق برمته .. كانوا يصرحون دائما وبلا حياء ان بقاء مليون شيوعي في العراق خير من سبعة ملايين غير شيوعيين هكذا اذن يكون الوطـن حرا وبهذه الطريقة يكون الشعب سعيدا أيضا !!!

لا ادري امن سوء حظي ام حسنه ان ابتليت بداء الصراحة (اللعين) مع اصدقائي واعدائي على السواء وقد عشنا فترة قلقة متقلبة اختلطت فيها وجوه الاصدقاء بوجوه الاعداء بشكل حتى انك لم تستطع ان تخمن محدثك الآن . هل سيكون تحت ظرف ما من الاعداء ؟ ام سيبقى رغم تقلبات الايام من الاصدقاء ؟!

كثيرا ما يضمني مجلس مع الاصدقاء او ربما مع الاعداء وسرعان ما يفرض (النقاش) نفسه فرضا ويدخل المكان من جميع الابواب فاذا ضم الاجتماع بعض البعثيين ودار النقاش اظهرت لهم اخطاءهم معددا هفواتهم بصدق نية واخلاص وكم من مرة يصل الجدل الى حـد القطيعة واذا بالتقارير سرعان ما تكتب وتسجل عني باني حاقد حانق غير ثوري وكم مرة ضمني مجلس جمع بعض المتمسحين باذيــال

عبدالكريم قاسم او من تباركوا بنعمة الشيوعية او من الذين لم يكن لهم يوما من الوطنية نصيب لا من بعيد او قريب ولكنهم لغرض في نفس يعقوب ينهالون على هذا الحزب او ذاك وخاصة الاحزاب القومية ورجالها المخلصين الناذرين نفوسهم لمصلحة الامة العربية والاسلامية وحتى على المخلصين من رجاله وخاصة اذا خلت الجلسة من اي منهم ، بسيل من التهجم والتجني •

وعندما اوضح لامثال هؤلاء الاشياء الحسنة والمواقف لهذا الحزب او ذاك اكون انا الحزبي المتعصب ولا افهم الحقيقة الا من وجهة نظري وهؤلاء البشر نفسهم اذا ضمهم مجلس مع بعض أعضاء حزب سرعان ما تراهم يسبحون بحمد الحزب ويعددون مزاياه الحسنة ويضعون اعضاءه نصف الملائكة الابرار • الا ترى معي ان امر الشعب العراقي شيء عجيب ؟ ألم نر بأعيننا الراقصين يملأون الشوارع ونسمعهم بآذاننا يرددون سبع ملايين تريد حزب الشيوعي بالحكم ؟؟!

شهد عراقنا الحبيب في هذه الفترة العصيبة الدقيقة (اشكالا والوانا) من سلوك اللااخلاقيين وهم يؤدون ادوارا تمثيلية (رائعة) على مسرحه العجيب باتقان يثير الدهشة حقا •

وان اتقانهم لجميع فنون التمثيل وانتقالهم من الدور الكوميدي الى التراجيدي بهذه السرعة لامر يستحقون من اجله (جرة اذن) !!

فقد رأيناهم في (العصر السعيدي) وليس هو عنا ببعيد ـ مخلصين ملكيين و (بعين الحاسود عود) وبين عشية وضحاها اذا هم اصحاب النشاطات والمسيرات والمحاضرات ولهم الصدارة اذا حلوا او ارتحلوا ، وقد رأينا بعد ذلك كيف كانت كروشهم ترقص وسط الصبية في عرض الشوارع وهم ينشدون (عاش الزعيم عبدالكريم)

ويحاججونك ـ بلا حياء ـ بان هذا الشخص عبقري ملهم ، ابن الشعب ، وانه جاء ليخدم البلد ... ، الخ .

وما ان اشرقت شمس ١٤ رمضان حتى تفجرت (عبقريتهم الحربائية) واذا بك تسمع تأييدهم المطلق وهم يسكبون في اذنك اجود العبارات ـ

ـــ اخي هؤلاء شباب ... اصحاب عقيدة ومبادىء وهذا الذي كنا ننتظره ... لان الكرامة اهينت والحرية زيفت والان حصحص الحق !!.

اما بعد ثورة ١٨ تشرين ثاني فقد انتفخت اوداجهم أكثر من ذي قبل واذا بك تسمع منهم ـ

ـــ اخي ، هذولة زعاطيط ... مراهقين ... هذولة عصابة استولت عالحكم ... لازم يجون ناس (عقال) لهم تجربة بالحياة يعرفون اشلون يمشون الامور .

والعاقل (اللبيب) يعرف ماذا يقصدون بعبارتهم الاخيرة .

عجيب امر هؤلاء اللااخلاقيين فانهم يتصورون ان الناس لا تسمع ولا ترى او انهم يتخيلون ان الشعب لا يعرفهم جيدا ويعرف تاريخ حياتهم الحافل بالانتهازية والخنوع انني اعرفهم وغيري يعرفهم ايضا ولكنني اتساءل ألم يحن الوقت لان نلقم هؤلاء حجرا يسكتهم الى الابد ؟ انني اعتقد او بالاصح اؤكد ان الوقت حان ، وهذا هو الوقت والا حتما سيجرنا هؤلاء البهاليل الى طريق الضلال والظلام .

١
المتهم أنــا

كانت الساعة السادسة مساء من يوم الاحد الموافق ٢٩-٣-٩٥٩
عندما كنت في طريقي الى عيادتي الخاصة الكائنة في مدينــة السلام (الطوبجي) كنت مثقلا بالهواجس التي تمــلأ رأسي وارى امامي الطريق موحشا فاقدا للحركة المألوفة قبيل غروب الشمس حيث ان الرهبة قد عقدت الالسن واقعدت الناس في بيوتهم وجعلت سحبا من الظلام تغشى ابصارهم فقد مر على ثورة الشواف في الموصل عشرون يوما فقد كثير من الاطفال آبائهم والزوجات ازواجهن وكانت الصحف الشيوعية تتناقل انباء القتل والسحل والتمثيل بالمواطنين في جميع انحاء العراق - بلا حياء - وتسمي هذا (تجربة شعبية) وبلغ عدد المعتقلين اكثر من ثمانين الفا حتى ضاقت بهم السجون فاجروا لهم بيوتا اضافيــة لابتلاعهم هذا بالاضافة الى حركة الابعاد التي شملت آلافا من المواطنين تركوا عوائلهم بلا معين حيث اقتيدوا الى مدن بعيــدة عن مسقط رؤوسهم وحيث تتلقاهم الاهانات في كل لحظة وفي كل مكان .

وهكذا دثرتني الهواجس بامواجها المتلاطمة وانا اجلس خلف مقود السيارة ولم افق الا عندما اعترضت سيارتي جمهرة من النسوة كن واقفات في الشارع المؤدي الى عيادتي فافسحن لي الطريق وهن ينظرن الي باستغراب واشفاق وقد تناهى الى سمعي منهن كلمــات متقطعة خافتة :

ــ خطية !

ــ هذا الدكتور ؟

ــ أي ••• راح يأخذوه ••

وركض بعض الاطفال تجاه مبنى العيادة وهم يتصايحون :

ــ جا الدكتور ••• جا الدكتور

ما ان وصلت العيادة واوقفت السيارة حتى لاحظت ان الخادم الصغير يقف عند الباب مصفر الوجه وعلى مقربة منه وقفت امــــرأة قروية سبق ان راجعتني عدة مرات وعلى بعد منها وقفت ثلاث او اربع نسوة واطفالهن للتداوى لكنهن لم يجرأن للدخول الى العيادة وهن يتهامسن والاستغراب باد على وجوههن بوضوح وما ان جئتهن وانا اضع رجلي داخل مبنى العيادة وانا الاطف المرأة القروية :ـ

ــ « متأسف ••• اليوم صار عندي شوية شغل وتأخرت »

ولكن المرأة الطيبة لم تزد على كلامي سوى ان قالت وبساطة متناهية :

ـ دختور تاهمينك !

وفي هذه اللحظة وصل من الشارع المجاور لبناية العيادة ضابط برتبة ملازم يصحبه انضباط عسكري (جندي اول) وصبي لا يتجاوز الخامسة عشرة من عمره ويرتدي الملابس الخاصة بالمقاومة الشعبية •

وبكل ادب وكياسة قال الضابط :

ــ دكتور مساء الخير

ثـم اردف :

ــ دكتور طالبيك في محكمة الشعب لادلاء الشهادة ••

واجبته في الحــال :

ــ زين •• تفضلوا اركبوا •

ركب الضابط بجانبي وبسيارتي الخاصة والانضباط والمقــاوم

الشعبي في الحوض الخلفي وكان الضابط لا يحمل السلاح اما الجندي فكان يحمل مسدسا بجانبه .

وخلال قيادتي للسيارة كنت افكر بنوع الشهادة التي سأدلي بها وما نوع الشهادة ؟ وعلى من ستكون ؟ ولماذا ... ؟ ولماذا اختاروا هذا الوقت بالذات لتبليغي ؟ وبهذا الاسلوب ؟ ضابط وجندي ومقاوم شعبي ؟ وما دخل المقاوم الشعبي في أمر يخص الحكومة وهو لا يزال في دور المراهقة ؟ واين كتاب التبليغ ؟ ولماذا لم يرسلوا الي في اثناء الدوام الرسمي عن طريق آمر مستشفى الرشيد العسكري الذي اشتغل فيه ؟ ولماذا لم يفعل اهالي مدينة الطوبجي معي كما فعلوا مع عدد من الذين اعتقلوهم من المدينة حيث يسير الاطفال والكبار حوله وهم يشيعون المعتقل بالسب والشتم والوعيد والويل والثبور ؟ ، وكما يفعل غيرهم في مثل هذه الحالة في جميع انحاء العراق !!!

اجل اني شعرت بان هناك شيئا غريبا يرتسم على الوجوه التي كانت تنظر بدهشة واستغراب ولكن لم يتلفظ صغير او كبير بكلمة واحدة يجرح فيها شعوري ...

قطع الضابط هذه السلسلة من الافكار المتلاحقة فجأة حيث قال :

ـــ لقد جئنا الى عيادتك منذ الساعة الثانية وقد اجرى التحرى في عيادتك !

ـــ وهل وجدتم فيها شيئا ؟

ـــ لم نجد اي شيء ولم ناخذ اي شيء :

كان الضابط ـ والحق يقال ـ يكلمني بأدب وباسلوب رقيق ولم يسمعني اى كلمة جارحة او مثيرة بل ان مجاملته المتناهية جعلتني احترمه وابسط الحوادث التي قد تصادفني وكنا نتحاور خلال الطريق

كصديقين متعارفين منذ زمن طويل •

قـال :

— لم اكن انا المسؤول عن تبليغك ولكن جئنا بسيارتين منذ الساعة الثانية ومعنا رئيس اول وضابط طيار ورئيس طبيب وعدد من الجنود الانضباط والمقاومة الشعبية •

عندئذ فكرت بان القضية ليست قضية شهادة فقط وانما هي ابعد من ذلك واعقد ، والا لماذا اجروا التحري على العيادة ؟ وبدون علمي ؟ وما علاقة الطبيب بقضية الشهادة والتحري ؟ ومن يكون الرئيس الطبيب هذا ؟

سألت الضابط وانا اقود السيارة وسط الشارع المقفر من البشر وقد بدأت جحافل الظلام تزحف وسط السكون المخيف :

— رجاء هل تعرف اسم الطبيب ؟

— لا والله •• بس هو فد ولد أسمر يميل الى الاصفرار قصير يفرق شعره من الوسط وكان متحمسا للموضـوع وهـو الذي ارشدنا الى محل العيادة •

واعتقدت في الحال انه أحد الفرسان الثلاثة اما قحطان محمد أو سعيد غدير أو ثابت الهيتي وقد حدست الامر حيث عرفت فيما بعد انه كان الرئيس الطبيب (المناضل) سعيد غدير •

تلاحقت علي الافكار والخيالات وتزاحمت • نعم آمنت ان المسألة اكبر واعقد من مجرد شهادة والا لماذا هذا الاتهام وتحري العيادة ؟ وهل اذهب لاخبار اهلي ؟ حيث من المحتمل ان يطول بقائي ويشتد بهم القلق والانزعاج ؟ ولكن فضلت عدم الذهاب لانه من المحتمل انهم يجهلون محل دارنا وذهابي معهم معناه اخبارهم عن موقع الدار واكون سببا ومعينا لهم في مهمتهم ولذلك فضلت الذهاب معهم رأسا

وعدم اخبارهم بذلك ...

وصلت باب المحكمة والساعة تقارب السادسة والنصف وقبل ان ننزل من السيارة - وكانت حقيبتي الطبية بجانبي - قلت للضابط :

ـ اذا كنت ترغب تفتيش الحقيبة ؟

ـ لا شكرا هذه ملكك الخاص !

وهنا فكرت اذن اليست عيادتي واثاثها وكل شيء فيها هي ملكي الخاص ؟ فكيف يسمحون لانفسهم بفتحها وتفتيشـــها دون اذن او سماح من اي جهة رسمية ؟

اقفلت ابواب السيارة وصعدوا بي الى الطابق الاعلى من محكمة الشعب الى شقة خاصة في الجهة اليسرى والشقة متكونة من ثـــلاث غرف كتب على باب مقابل في الوسط (اللجنة المالية) واخـــرى الى اليسار (المكتبة) واخرى الى اليمين .

كان عدد كبير من الجنود وضباط الصف منتشرين هنا وهناك وقد ملأو المكان بغدوهم ورواحهم حيث شق الضابط طريقه بينهم وانا اتبعه الى الغرفة المقابلة .

٢

رياضة مخجلة

الغرفة كبيرة جدا ، في الوسط منضدة طويلة تتكدس عليها أوراق وملفات ويحيط بها عدد من الكراسي وفي الجانب الايمن من الغرفة اي في الركن الشمالي الغربي جلس شخصان يرتديان الملابس المدنية احدهما صبغت وجهه سمرة داكنة وشعر فاحم مسترسل الى الخلف وله شارب كث استاليني وقد تجهم وجهه فاذا نظر اليك أو نظرت الى وجهه تقرأ الشر مرتسما في كل قطعة من ذلك الوجه الاغبر وتستطيع ان تقدر بسرعة انه احد قطاع الطرق او اللصوص المحترفين او اي شيء آخر دون ان يخطر ببالك انه حاكم واسمه كمال عمر نظمي أي ابن عمر نظمي رئيس وزراء الانكليز في العراق وربيب عبدالاله ونوري السعيد ..

اما الى يساره فقد جلس شخص حليق الشارب اقصر من صاحبه قمة ويضاهيه سمنة تميل بشرته الى البياض المشرب بالصفرة التي تنزف حقدا وغضبا وكراهية ولا يتردد الرائي ان يظن انه بائع قوارات ، او نشال في سوق هرج ، ولكني عرفت فيما بعد انه الحاكم داود خماس .

وعند قدميهما طرحت فريسة مثخنة بالجراح كانت هويتها ضابط صف (عريف) وقد مد رجليه بين كرسيهما واتكأ على راحتي يديه الى الخلف وقد تبعثر شعر رأسه المغبر بتراب الارض ورغم

مظاهر رجولته السمراء الا ان قواه انهكت وقد زاغت عيناه في الفضـ
وفي كل دقيقة كنت اراه يراوح يديه ورجليه ويحاول ان يحرك
جسمه بمضض مما يدل على انه ذاق رياضة قاسية ٠

صاح فجأة وبكبرياء ظاهرة الشـخص ذو الشارب الدسـم
وبصوت غاضب خشن كصوت عجل كبير أجل صاح بي كمال عمر
نظمي :

ــ اسمك ؟

ــ راجي عباس التكريتي ٠

ــ انت راجي عباس التكريتي ؟ ٠

ــ نعم ٠

ــ راح اشوفك تكريت بعينك ! شغلك ؟

ــ طبيب في الجيش

حول نظره الى العريف الممدد بين قدميه وبدأ يكلمه كلمات لم
اسمعها سوى اني رأيت العريف يدير رأسه تجاهي بتثاقل موجع
ويتفحصني مليا وينظر الى الحاكمين وهو يهز رأسه علامة النفي فما
كان من كمال الا ان اردف بصوت اكثر قباحة من ذي قبل :

ــ اخرج

اقتادوني الى الغرفة الجانبية على الجهة اليسرى واجلسوني على
قنفة كانت موضوعة هناك وكان في الغرفة ضابط يرتدي بدلة قتـال
ويحمل بجانبه مسدسا ولا يحمل رتبة ولكن بعد قليل سمعت الضابط
صديق عزيز يخاطبه : (ملازم اول قاسم) وهو شاب يكاد يقـارب
الثلاثين من العمر اسمر البشرة يميل الى حمرة داكنة ذو جسم ممتلىء
منتفخ الاوداج وكان يجلس خلف منضدة في صدر الغـرفة وهـو
منهمك في تناول العشاء ولم يطل الجلوس بل بدأ يعيد استجوابي

وهو يمضغ الكباب بشهية عجيبة •• اسمك •• شغلك •• وبعد ان اجبته اضاف :

ـــ جاء اليوم العصر جماعة اطباء شهدوا عليك • ثم اردف سائلا :

ـــ شنو علاقتك باحمد (ابو الجبن) ؟

وهنا عقدت الدهشة لساني علاقتي باحمد ابو الجبن ! ومن يكون صاحب هذا الاسم ؟ وعن اي شيء تكون علاقتي به ؟

ـــ احمد ابو الجبن ؟ ثق هذه لاول مرة اسمع بهذا الاسم •

ـــ زين •• بعدين تعرف من هو • قالها باسلوب فيه من التحدي والوعيد الشيء الكثير •

وهنا بدأت افكر مرة اخرى وكان الضابط قاسم قد انهى عشاءه وترك الغرفة واني لم اسمع باحد ممن يلقب بابي الجبن عدا شخصا يبيع الجبن في سوق البزازين وكذلك الشخص المشهور في بغداد كلها المضمد في مستشفى المجانين ابو الجبن فهل سألني عن احد هذين ام غيرهما ؟

وبعد دقائق عاد الملازم الاول قاسم وبصـــوت الآمر المنتصر وباسلوب شديد اللهجة :

ـــ تعـال •

واعادني الى الغرفة الوسطى نفسها ودخلت واذا المنظر لم يتغير فيما يفتشني تفتيشا دقيقا ، جيوب السترة كبيرهـا وصغيرهـا •• جيوب •• البنطلون ـ كفات البنطلون •

واخذوا مني هوية عسكرية مجلدة وداخلها هوية طبية ومفكرة ومحفظة النقود وقلم حبر باركر (٥١) •

واذا بالعجل الاسمر كمال يصيح :

— انزع القندرة .

وجلست على كرسي بجانبي حتى استطيع نزع الحذاء واذا ب
يصيح بلهجة كلبية نابحة :

— انزل جوة عالكاع .

والحقيقة لم تكن قاع الغرفة وانما غطتها زولية مفروشة حيث جلست على البساط وبدأت نزع الحذاء وكذلك الجوارب حسب طلبهم وفتشوها واني لازلت ارى بعيني صورة احدهم وقد ادخل انفه في الحذاء يحدق النظر بداخله لعله يعثر على شيء ، يعتقد اني اخفيته وما ان اردت ان اعيد لبس الحذاء من جديد واذا بالملازم الاول قاسم يصيح : زين اترك الغراض واطلع !

عدت الى الغرفة الاولى وجلست في محلي ولم تمض دقائق حتى تبعني الضابط قاسم واذا به يصدر لي الامر الاتي :

— تعال اوگف هنا .

واشار الى محل خلف الباب :

— تقف هنا على رجل واحدة واذا انزلت الاخرى على الارض اكسرها .. تسمع ؟ .

كانت عقارب الساعة تقترب من السابعة مساء وفي حوالي السابعة والربع جلبوا ضابطا برتبة رئيس اول وهو لا يزال يرتدي الملابس العسكرية ينيف عمره على الثلاثين سنة نحيل الجسم متوسط الطول تشربت سمرة وجهه باصفرار او ربما سببه الحديد الذي كان يكبل يديه واوقفه الانضباط على مسافة مني وعلى الاثر دخل الضابط قاسم وهو يصيح باسلوب امتزجت فيه السخرية بالغطرسة مع تهكم متعالي :

— ها رئيس اول صديق شنو القصة ؟

ـــ والله ملازم اول قاسم ما اعرف شنو القصة .. اشو هسه اجو علي وانا اتحضر للفطور وجابوني .

ـــ بسيطة !!

ـــ زين ملازم اول قاسم هسه آني صايم لو بس مخليني افطر هسه ما اقدر أدز (ارسل) على فطور ؟ ثم هذا الحديد شكو لازم يسي ؟ .

كانت تبدو على الضابط صديق اللهجة المصلاوية واضحة وبعد ان ترك قاسم الغرفة ادار صديق وجهه نحوي .

وسألني :

ـــ انت شنو شغلك ؟

فلما اجبته ، عاد وسألني عن سبب جلبي وتوقيفي بهذا الاسلوب اجبته لا اعلم .

دخل جندي كاتب وجلس خلف منضدة على الجهة اليسرى وهو يقلب ببعض الاوراق ومن ثم وجه كلامه الينا :

ـــ ولو آني جندي وانتو ضباط احب ان اقدم لكم نصيحة وهي : (كلشي التعرفوه احجو عنه . لان جماعة اجو قبلكم واول مرة ما حجو ولكن بعدين وبعد ان كسرنا عليهم العصى والرزالة بدو يحجون فالواحد احسن من اول مرة يحجي ويخلص من البسط .. مثلا قبل جماعة العهد البائد من غير بسط كلشي جانوا يحجون ولكن من صارت ثورة الشواف الجماعة اللي يحققون وياهم ابدا ما يحجون الا بالبسط والرزالات) .

كان بين آونة واخرى يدخل قسم من الجنود وضباط الصف يخرجون ويحدقون النظر بنا بحقد وكأننا من عصابات شيكاغو ومن عصابات الهاكانا ... وفي هذه الاثناء دخل جندي وهو يحمل

كتاب توقيفي وسلمه الى الجندي الكاتب وطلب منه ان يرسله الآن ..

وما ان علم الجندي الكاتب باني رئيس طبيب وبعد خروج الجندي المراسل توجه نحوى وخاطبني :

— لقد جاء هذا اليوم مقدم طبيب وطبيبان برتبة رئيس وشهدوا عليك .. وهسه اكو رئيس طبيب وطبيب مدني في الغرفة المقابلة وكلهم شهدوا ضدك .

في هذه الاثناء سمحوا للرئيس الاول صديق بالجلوس رغم ان الحديد لا يزال يحيط بمعصميه اما انا فقد شرد فكري وسرح في عالم الغموض والابهام والا ما معنى ان يقف جندي جاهل في مثل هذه اللحظة من الزمن يكيل لي النصائح والتوجيهات وانا الطبيب الذي ودع من عمره ربع قرن في الدرس والثقافة والتحصيل العلمي ؟ دقت الساعة النصف بعد السابعة عندما اقتادوا الرئيس الاول صديق الى داخل الغرفة الكبيرة غرفة التحقيق او في الواقع غرفة الرياضة والارهاب والتعذيب ولم تخل الغرفة بي وحدى ففي اللحظة التي اخرجوا بها الضابط صديق دفعوا الى الغرفة سبعة من الشباب الذين لا يزيد عمر اكبرهم على سبعة عشر عاما والاصغر قد تخطى العاشرة وكان الخوف باديا على الجميع وقد صبغت وجوههم بصفرة كالحة تحاكي لون التراب اضافة الى الضعف والنحول البادين عليهم جميعا وقد تبعت دخولهم الضربات المتلاحقة بالايدى والارجل رافقها سيل من البصاق والكلمات البذيئة حيث وقفوا جميعا وسط الغرفة وهم يرتجفون كاغصان شجرة الكالبتوس في يوم ريح عاصف .

لم يطل الانتظار فقد دخل ضابط برتبة ملازم اول طيار (فريد الصفار) يرتدي البدلة الشتوية الزرقاء متوسط الطول ذو وجه ينفث

سما على الحاضرين بسمرته المصفرة وعينيه الغائرتين وشاربه السميك وقد تمنطق بنطاق فوق السترة اما مسدسه فقد وضعه على جنبه بصورة واضحة للعيان • ويحمل بيده اليمنى عصا بيضاء تقارب المتر طولا ونصف الانج سمكا (خيزرانه) وبيده اليسرى رزمة صغيرة من الاوراق وقبل ان يكلم احدا او ينبس ببنت شفة انهال عليهم بالضرب بعصاه بكل ما اوتي من قوة وعلى غير هدى او هدف فكانت العصى تصيب ثلاث او اربع مرات متتالية من هو اقرب منه ومزج الضرب بكلمات بذيئة يترفع قلمي عن تسطير اكثرها حشمة واقلها تفاهة فكان بالنسبة لي ضرب السياط على هؤلاء الشباب اقل ايلاما من تلك الكلمات التي اظهرت طلاقة لسانه واجادته لها وتمرسه فيها ••

وبعد مضي عشر دقائق من ضرب السياط والسب والشتم دفع كل واحد منهم الى كرسي خلف المناضد الموجودة في الغرفة واعطى لهم من الاوراق التي بيده ووزع عليهم اقلاما ومن ثم صاح الى سبعة جنود بدخول الغرفة ومعهم عصيهم ووزع كل جندي على واحد من اولئك الشباب المساكين ثم بدأ يصدر اوامره عليهم :

ــ اكتبوا والله اذا لم تكتبوا كل شيء (ساكسر رؤوسكم) •• (تشوفون) هذه العصى ؟ بعد يوجد عندنا ضعفها عشرين مرة •• نظل نبسط بيكم للصبح وكل ما يتعب جماعة من الجنود نجلب غيرهم ••

بدأو بالكتابة او حاولوا ؟ أو هكذا بدا للرائي حيث امسكوا الاقلام وانحنوا الى الاوراق واذا ما حاول احدهم رفع رأسه ليرى الجندي المكلف بحراسته بعيدا عنه حتى تنهال عليه الضربة وقبل ان يكمل رفع رأسه واحيانا ضربتان او ثلاثة حيث تأتي ضربات اضافية من الجنود القريبين منه •

وحاول احدهم ان يسأل بسذاجة :

ـــ سيدي ايه اللي نكتبه أول لنا (قول لنا) علشان نكتب كل شيء .

وما كاد يسأل هذا السؤال حتى جن جنون (سيادة) الملازم فريد الصفار فانهال عليه بالسوط وذاك اللسان القذر ، يعاونه جنديان بضرب السوط اما الكلام البذيء فاحتفظ به وحده بلا معين لانه اهل لذلك :

كلاب بيت الكلب .. سرسرية .. ما تعرفون اشتكبون ؟ جبناكم ببلادنا وعيشناكم .. انتو مال واحد يخليكم عند اليهود تريدون تضمون العراق الى جمال عبدالناصر هذا القذر خادم الامريكان والاسرائيليين ولكم همينة عدكم شرف ؟!.

كنت لا ازال واقفا وراء الباب واستطعت بغفلة من القوم ان ابدل رجلي وأقف على الرجل الاخرى وادركت ان هؤلاء الشباب من اخواننا ابناء الجزء السليب من وطنا العربي وتذكرت الشيء الكثير عن مأساة فلسطين وما حل بدير ياسين وغيرها من القرى العربية التي انتهكها الاستعمار واذنابه وكيف كنا ونحن في المرحلة المتوسطة ننظم المظاهرات في تكريت تأييدا لفلسطين وعروبة فلسطين وها انا ذا الآن ارى امامي سبعة من الشباب الفلسطيني بعد ان مروا بذلك الحلم المرعب وها هو الان الملازم فريد الصفار يعيرهم بانه اسكنهم وآواهم واطعمهم ..

اليست الارض ارضهم والتربة تربتهم والاهل اهلهم واخوانهم اليس من الاجدى له ان يخجل من نفسه من ان يزيد آلامهم وعذابهم وهو الذي يعرف نفسه انه فارسي الاصل وانه دخيل على هذا البلد العربي ؟

وهكذا تألمت وتألمت كثيرا ولو كنت ممن يذرفون الدمع عند اشتداد الازمان لنزل دمعي مدرارا ولكن الله سبحانه وتعالى جعلني لا استطيع ان اذرف دمعة واحدة وانا في اشد ما اكون من التأثر والانفعال والالم ويعلم الله انني في ذلك الوقت كنت اشد ألما من أي واحد منهم . كتب اثنان او ثلاثة منهم حتى ان احدهم كتب كل الورقة وطلب الاخرى والثاني كتب ربع صفحة واخذ منه الملازم فريد الورقة وما ان القى عليها نظرة بسيطة حتى انهال عليه بالضرب .

ـ كلب ابن الكلب . تكتب قصة تريد اتقشمرنه ؟ اكتب عن علاقتك بالقوميين ؟ ومن هو الذي ينضمكم ؟ واين تجتمعون ؟ وعن مقرراتكم ؟

ـ ولكن والله يا سيدي ما اعرف عن القوميين كلشي أنا واخوتي نشتغل سوه ـ وأشار بأصبعه على أحدهم وهو يبلغ من العمر اربع عشرة سنة ـ من الصبح للمغرب حتى نعيل والدتنا ورضائعنا .

ـ ولك انجب ونعل ابوك لابو حت ... ويال .. يحلف لي بالله ! ...

ثم انهال عليه الضرب من كل حدب وصوب وفي هذه الاثناء كسرت احدى العصي بيد الجنود وعجبت كيف تكسر ويبلغ سمكها انجا ونصف او تزيد وخرج الجندي ليجلب بدل العصى (صوندة) من المطاط السميك ذات اسلاك حديدية يبلغ قطرها الانجين وانهال عليه بالضرب حيث تلتف قطعة المطاط على جسمه كالافعوان ويلتف هو معها يتلوى من شدة الالم ..

وقد اضطر احد الاخوان وهو لم يتجاوز الخامسة عشرة من عمره نحيل الجسم ناعم الوجه شعر رأسه يتموج كالذهب وتبدو

عليه الرقة حيث قال : ساقول كل شيء وبدا يكتب صفحة ونصف حيث اضطروا الى اخراجهم جميعا عـدا الشاب الذي وعدهـم بانه سيعترف وعم الغرفة هدوء بعد تلك الضجة وصـوت العصي وهي تقرع الاجساد البريئة والكلمات التي هي اقسى من ضرب السياط .

تناهى الى اذني من بعيد صوت الساعة وربما هي ساعة (القشلة) تعد ثماني دقات متتالية وبصوت واضح ، وأقول الحقيقة انني كنت ابدل رجلي كلما سنحت لي الفرصة واقـولها بصراحـة انني كنت غير مضطرب بالمرة وكأن الله الهمني شجاعة قوية الا انني تألمت على اخوان الشباب الفلسطيني وكنت انظر الى الاخ الشاب الوحيد الباقي وانا اسأل نفسي هل سيعاملونني بهذا الاسلوب الوحشي نفسه الذي هو ابعد ما يكون عن الانسانية ؟ وهل ساضطر ان اقول اني سأعترف عن كل شيء ؟ ورغم اني اعطيته عذرا على تخاذله ومحاولته التخلص من الضرب ولكنني نظرت اليه نظـرة ملؤهـا الشفقة والـرأفة رغم ازدرائي له لخيانته اصحابه الباقين .

عم سكون نسبي غرفتنا ولكن سرعان ما تناهى الى سمعي من الغرف الاخرى صياح .. واستغاثة وصراخ .. وأنين يدل على مدى ما يتحمله اصحابها من تعذيب قاس وضرب مبرح ولـم استطع ان اتبين كلمات الاستغاثة والصياح بسهولة لان باب الغرفة الاخرى كان مسدودا وامتزاج الاصوات كان يشكل نغما محزنا مفجعا مختلطا ..

دخل الغرفة الملازم الاول قاسم ودار وجهـه نحـوي باسلوب تهكمي :

ـــ ها ؟ مرتاح على ها الوقفة ؟

ـــ ملازم قاسم .. انا جاي شاهد . حسب ما اخبرت فلماذا لا يأخذون مني الشهادة ؟ وما الداعي الى ها الاسلوب من الاهانات ؟

ـــ ها ؟ اهانات •• هسة فد شوية دا نهيء لك الجو •

ومن ثم خرج ودلف الى غرفة التحقيق ••

تواردت على خاطري عشرات الفكر والومضات السريعة • ماذا يقصد بتهيئة الجو ؟ وهل الشهادة تحتاج الى كل هذه الاهانات ؟ ثم تهيئة جو خاص لابد انهم يبيتون لي أمرا •

اذن المسألة ليست شهادة ، ان قحطان هذا أو سعيد غدير أو ثابت وذهابهم الى عيادتي ودوسهم لحرمتها والتحري فيها •• ومن ثم شهادتهما مع المقدم الطبيب رافد صبحي أديب (الذي يحمل شهادة F.R.C.S. الجراحة) عصر هذا اليوم والتقارير التي كانوا يرفعونها الى رفاقهم في (الانسانية) و (السلام) • وقطع سلسلة أفكاري دخول الجندي الكاتب ووجه كلامه نحوي رأسا :

ـــ هسه طلعوا دكتور من التحقيق ما قبل يحجي وبعد ما موتوه من البسط حجا لهم كلش وهسه هو مذبوب بالغرفة المقابلة •

كانت الساعة تشير الى التاسعة الا ربع وفي هذه اللحظات كنت اشعر بميل شديد لشرب الماء وعندما افضيت بطلبي للجندي هز رأسه علامة النفي والاحتجاج الصامت وشعرت ان الدم في ساقي بدأ يتجمد رغم اني كنت اراوحهما بين حين وآخر وبدأت احس ان الوقت يسير ببطء وبين الفينة والفينة استرق النظر الى ساعتي لاستدرجها السير او لاشيع عيني فيها بنظرات الوداع وما كنت اعلم بانها سترافقني اخر امسية وتختفي الى الابد وكان الجنود يزدحمون على باب الغرفة الكبيرة بين واقف وجالس ومتخطي بلا هدف •

وعلمت من الجندي الكاتب ان الغرفة المقابلة ملأى بالضباط الذين جيء بهم في عصر هذا اليوم ومسائه •

٣
حلفة صاخبة

اشارت الساعة التاسعة والخمس دقائق عندما ادخل جندي رأسه من الباب للاستطلاع ثم اشار الي بالمجيء الى غرفة التحقيق ودخلتها فاذا هي تموج بالضباط من مختلف الرتب والجنود والمدنيين .. كان ثلاثة من المدنيين جالسين على مقاعد في الزاوية الشمالية الغربية من الغرفة ومعهم ضابطان وثلاثة من ضباط الصف واثنان من الحكام كانوا وقوفا وسط الغرفة متهيئين لاستقبالي !..

من اول لحظة اومأ لي جو الغرفة بقسوة صلدة اضافة الى ان الهواء الذي تخلل خياشيمي كان مثقلا بالوحشة والارهاب ..

فهذه الوجوه الكالحة الغاضبة وهؤلاء الجنود موزعون في ارجاء الغرفة بلا تنسيق والعصي تلوح بايديهم والرتب العسكرية (الكتافيات) على اختلاف درجاتها مبعثرة بين الاقدام والنجوم والتيجان الذهبية منتشرة على قاع الغرفة كلها تحكي انها من مخلفات ضحايا قضوا في هذه الغرفة الموحشة فترة عسيرة وهم يدقون بين المطرقة والسندان . وفي احدى الزوايا تظهر للعين بوضوح رزمة من العصي تزيد على الاربعين من مختلف الاحجام ...

تقدم مني الرجل الاسمر ذو الشارب الكث وقد بدا عليه الغضب والانزعاج بابشع صورة وما ان صار كمال عمر نظمي امامي حتى سألني :

ــ احچينا .. عن علاقتك باحمد (ابو الجبن) :

ــ احمد ابو الجبن اصلا ما سامع بهذا الاسم ... شنو هو ضابط ، مدني ؟

ــ أبدا ما سامع ابواحد اسمه ابو الجبن ؟

ــ والله سامع بواحد ابو الجبن يبيع الجبن في سوق السراي : والاخر مضمد في مستشفى المجانين يسمونه ابو الجبن : وقبل ان انهي كلامي هذا واذا بصفعة قوية تقع على عيني اليمنى وكان مصدرها الملازم الطيار فريد الصفار وقبل ان افق من الصدمة انهالت على ظهري ثلاث او اربع عصي اتت كلها مرة واحدة ثم اضاف الملازم فريد :

ــ كلب ابن الكلب تريـد اتقشمرنا شـايف نفسك طبيب ؟ واكمل كمال :

ــ لا دقيقة راح يحجي بس خله يتذكر ؟

ثم اضاف فريد :

ــ زين انزع جواريبك :

وجلست على الارض وبدأت انزع الجواريب وكنت اسأل نفسي هل الغاية تفتيش الجواريب ايضا ؟ ولم استطع الاسترسال هذه المرة لاسأل نفسي اذ سرعان ما هرع نحوي جنديان وكل واحد امسك احدى قدمي ورفعاها الى الاعلى بنفس الوقت الذي شعرت بان قبضة قوية قد امسكت عنقي بعنف وسمعت همهمة وصياح :

ــ فضهة عاد ، قابل سنة ؟

ثم اسرع جنديان آخران لحمل رجلي الى الاعلى وقد طرحت ارضا في حين جلب جنديان آخران عامودا خشبيا يبلغ طوله حوالي المترين وقطره اكثر من اربع انجات وفي وسطه شد حبل على هيئة هلال وادخلوا كلتا الرجلين داخل هذه الحلقة ثم بدأوا بلف الحبل

مرات عديدة وبصورة شديدة حتى ايقنت بان الحبل قد غاص في لحم الساقين وربما وصل الى العظام .

وقد حمل العمود جنديان رفعاه عاليا حيث بقيت مرتكزا على رأسي ورقبتي والقسم العلوي من ظهري وانهال اربعة بالضرب المبرح اثنان على راحتي القدمين واللتين اصبحتا في وضع علوي واثنان يضربان على منطقة الساقين والفخذين والعجز . صرت الآن لا اشعر بآلام الحبل الذي كاد يقطع عضلات رجلي بل انصرفت لاتأوه واستغيث من الآلام الجديدة ، آلام الضرب فالعصي تنهال علي مثل لمح البصر واحيانا تهوى على جسمي عصاتان او ثلاثة مرة واحدة والعصي التي تنهال على فخذي وساقي وعجزي آلامها اقل من تلك التي تنزل على راحة القدمين وايقنت ان اسفل قدمي قد تمزقتا وتحولتا الى اوصال مع كل ضربة تنزل عليهما .

الحقيقة انني لا استطيع ان اصف الآلام آنذاك مهما كنت دقيقا في الوصف لان الواقع ساعتئذ أشد وأكبر وأكثر مما أستطيع الآن وصفه فقط !

العصي ترفع عاليا في الفضاء وبعضهم يمسك العصا بكلتا يديه وتهوى بلمح البصر لتنهال وتحطم قسما من جسمي وحاولت ان افك رجلي بتحريكها في هذه الحالة ولكن عبثا حاولت سوى ان ساعدت بهذه العملية الحبل ليغوص اكثر بجسمي ويزيد من آلامي .

بدأت اصرخ باعلى صوتي واستغيث بالله :

— الله .. يا أسلام .. الله يا أسلام .. الله الله الله ..

وكانت اصداء الغرفة تجيبني ايضا : الله الله ..

ولكن أحدهم اجابني ايضا :

— راح انشوفك اليوم الله بعينك !

وصار لي منفذ للكلام :

ــ يا أسلام والله بريء •

واتت هذه المرة اجاباتهم مختلطة :

• • • •

ــ لك انجب دنعل أبوك لابو حت ••• وياك !

ــ يا جماعة الخاطر الانسانية الخاطر السلام الذي تدعون فيه •

ــ كلب ابن الكلب يا مجرم ، الانسانية بريئة منك •• تريد تنسف معسكر الرشيد مع (ابو الجبن) وهسه تنكر ؟ ولك للصبح نبقى نبسط بيك الى ان تطلع روحك وبعدين نذبك منا بالشط •

ردد هذا الكلام كمال عمر نظمي وهو واقف عند رأسي والعصي لا تزال تنهال كالمطر وانا اتقلب ذات اليمين وذات الشمال وبعض العصي امتدت الى ظهري وجانبي وحاولت ان اخفف الضرب على راحة قدمي وضعت يداي على اسفل قدمي واصبحت في هذه الحالة معلقا في الهواء من شدة الالم ـ واكاد اجزم ان هذه الحالة لا يستطيع ان يتصورها انسان قط ـ ولكن هذا الواقع وهذا ما حصل في هذه اللحظات الخاطفة حيث بقيت مرتكزا على منطقة واحدة وهي الحبل الغائر في لحم ساقي ولكنها لحظات قاسية حيث انهالت العصي وبقوة وتكالب اكثر على يدى مما حدا بي الى سحبها باسرع ما يمكن وسقط رأسي واكتافي على الارض من جديد والضرب لا يزال يجري بانتظام •• !

كانت عيناي تجولان بين الحاضرين علها تجد بين الحاضرين من يحمل قطرة من شعور انساني او قلامة ظفر من النبل والوجدان لكنهم جميعا باعوا شرفهم وضميرهم وما يملكون من قيم بابخس

الاثمان وبئس ما يدعون .

كان عسكريان ومدنيان يقفون جميعا على مقربة مني وينظرون ويتضاحكون !! احد المدنيين الحاكم داود خماس والباقون بين مشارك بضربي وبين واقف يقذف بما خرج من فمه من بذيء الكلام وبعضهم يأمر البعض الآخر بتقوية الضرب .

خاطبت الجالسين على القنفات وانا في هذه الحالة وهم يتسامرون ويضحكون .

ــ هل لهذا الضرب من سبب ؟

فتكرم احدهم وهو برتبة رئيس اول منتفخ الاوداج احمر الوجه :

ــ اذا تريد تخلص من البسط احجي كلشي ، والا فالضرب يستمر وياك للصبح .

ــ واذا شيء لا اعرفه ؟

ــ لا فقط الشيء الذي تعرفه .

ـ ولكن ما اكذب لو تقطعوني وصل وصل !

ــ زين اتركوه ولحد بعد يضربه وحلو رجليه . امر احدهم وكان الضرب قد استمر ما يزيد على الربع ساعة ضربت خلالها ما يزيد على المائتي عصا ورأيتها كانها ساعات طويلة ..

وبعد ان حلوا الحبل من رجلي سقطت على الارض ولم استطع تحريكهما ولم يبق لي سلطان او سيطرة بالمرة عليهما .

قال احدهم :

ــ زين تعال هنا .

وحاولت عبثا ان ارفع رجلي فلم استطع واردت ان ازحف فلم اتمكن حتى من الزحف .

سحبني احد الجنود من سترتي وقذفني بين ارجلهم واستطعت فقط ان ارفع رأسي اليهم واذا باحدهم وهو (بائع الفرارات) داود خماس :

ــ انت ما تعرف ابو الجبن ؟

ــ اقسم بالله اني ما اعرفه ولا اتذكر شكله وربما اذا رأيته اتذكره .

وهنا اجاب الرجل المدني الاسمر ذو الوجه القذر :

ــ يكذب هو دخله المستشفى وهو انطاه (اعطاه) اجازة وكان يوميا يجتمع وياه من الصبح للمساء !

ــ اقسم بانني لم ادخله المستشفى ولم اعطه اجازة واني اشتغل بجراحية الضباط ويوجد دفتر بجميع اسماء الداخلين اثناء ما كنت اعمل وتوجد الطبلات ايضا .. يمكنم الرجوع اليها ..

ــ منو جان نايم في جراحية الضباط ؟

وحاولت ان اطيل الوقت في الاجابة لان العصي كانت مرفوعة فوق رأسي من كل جانب وقد سقطت ثلاث او اربع مرات خلال استجوابي هذا وفي الوقت نفسه فقد تحفز ضميرى وشحذ همته وتأهب لكل الاحتمالات ولم تخني شجاعتي ولاقابليتي الفكرية ويشهد الله انني لم اقل ذلك لاجل التظاهر ولكن لاجل الحق وثبات العقيدة واستسهال الموت في سبيل حفظ السر فقد تواردت بسرعة اسماء قومية من الضباط الذين كانوا نائمين في المستشفى منهم المقدم يحيى الخطيب ومحمد علي عبداللطيف وخالد الشيخلي وكان يتردد طاهر يحيي وعبداللطيف الدراجي وغيرهم ولكنني لم اذكرهم لان ذكرهم معناه ان يرون مثلي ليلة ليلاء على يد هؤلاء الوحوش بل ذكرت من الاسماء :

ــ عقيد انور بابان « وكانوا يتشاورون فيما بينهم عند ذكر كل

اسم ويسجلونه » .

شاكر السلام (عضو المحكمة) ملازم اول سامي عبدالمجيد ورئيس اسمه محمد ما أذكر اسم ابيه ، ضياءالدين .. وكل هؤلاء مسجلين بالدفتر .

— ما جنت تروح الى معسكر الهندسة وتجتمع ويا احمد ابو الجبن ومع ضباط الهندسة الآخرين وتضعون الخطط لنسف معسكر الرشيد ؟

— والله اني لحد الآن ما واصل الى معسكر الهنـدسة ولا اعرف اي واحد من ضباط الهندسة !

— زين عبدالرزاق حمدي شنو علاقتك وياه ؟

— اصلا بهذا الاسم ما سامع وما اعرفه ولا توجد لي علاقة ويه صاحب هذا الاسم .

وهنا نفذ صبر كمال عمر نظمي فاسمعني من طيبات لسانه :

ـــولك زمال ، سافل يا أدب سز (وغيرها من الكلمات التي يخجل قلمي عن ذكرها) شتصور احنه كلشي ما نعرف ؟ انت جنت تجتمع ويه عبدالرزاق واحمد ابو الجبـن واثنينهم جانـوا نايمين بالمستشفى وانت ادخلتهم على ها الغاية .

وقد دارت الدنيا برأسي واظلمت الحياة بعيني وانا اسمع هذا الكلام فقد زاد عذابي اضعافا مضاعفة لانني اعرف نفسي جيدا كيف انني ادبت فاحسن تأديبى فلم امارس اي نوع من الاعمال المشينة منذ خلقت حتى هذه اللحظات ولـم اكن سافلا بمفهـومها ولـم اكـن (ادب سز) في يوم من الايام بل كنت احتقر واتجنب ان اصادق كل من تمسه سمعة سيئة ولو من القلة بمكان واستعرضت حياتي في لحظات معدودة اجل لحظات معدودة وما اسرع سير الزمن عنـدما

قدحت شرارة فكرى الكهربائية حيث استعرضت حياتي في تكريت حيث طفولتي وحتى ان اكملت الدراسة المتوسطة واهالي تكريت يعرفونني جيدا وخلال دراستي الاعدادية في (الديوانية) يعرفني الاصدقاء هناك واثناء دراستي في كلية الطب يعرفني الزملاء ايضا فعزيت نفسي بقول الشاعر المتنبي :

واذا اتتك مذمتي من ناقص   فهي الشهادة لي باني كامل

وفي هذه الدقيقة او بالاحرى اللحظات وانا استعرض كل شيء منذ خلقت حتى هذه اللحظة التي كنت اجلس فيها بين اشباه البشر امتدت يد وسحبتني من السترة بقوة ورمتني بعيدا عن القنفة التي يجلس عيها المحققون المفترسون او بالاحرى اساتذة التعذيب المشرفون على اكبر مهزلة بشرية ترتكب في الطابق العلوي من محكمة الشعب . اليست مهزلة ان يحاكم في الطابق الاسفل من كان يشرف على التعذيب في العهد السعيدي ويحكمون بالاعدام وها نحن نتعذب بالطابق الاعلى في العهد القاسمي بأسلوب أكثر وحشية وأشد بشاعة وبطرق جديدة منوعة ؟!

قبل ان يستقر جسمي على الارض استقرت عدة ضربات على ظهري من عصيهم التي لا تزال متعطشة للضرب ... وكنت ممدداً ووجهي على الارض والضربات لم تترك محلا في جسمي الا ونالته مرات كثيرة وانا اتقلب ذات اليمين وذات الشمال وحاولت ان لا اتكلم ولا استغيث علهم يخففون الضرب او يتصورون انني دنوت من الموت فيتركونني لحالي او ربما شعرت او هكذا خيل لي بانه لابد بقيت عندهم فتات من ضمير او وجدان فيتركونني بعدما صرت فيه من حالة متردية ولكن إنى لقلوبهم ان تلين واستمر الضرب وتكسرت في هذه الفترة عصاتان او ثلاثة وكان الواحد يوصي الآخر بجلب عصا اكبر من سابقتها حتى لا تتكسر قبل ان تتكسر عظامي

وفي هذه اللحظة تقدم عطشان ضيئول على مقربة مني وهو يصيح كالملدوغ ويستثير الجنود والضباط :

ـــ مجرم خطر .. اخطر واحد هذا جاكم اليوم ، يريد ينسف معسكر الرشيد مع احمد ابو الجبن .

ثم وجه الكلام نحوي :

ـــ ولك انت طبيب ولازم تكون انساني .. لكن انتو والانسانية وين ؟ شوف وجهه مثل وجه المجرمين !؟

ثم وجه كلامه الى جماعته (النبلاء) :

ـــ تصوروا يومية يروح يجتمع مع احمد ابو الجبن بالمستشفى للمغرب .

استعدلت بجسمي أي أصبح وجهي الى الاعلى وحاولت أن احتج على الاقل لاوضح الحقيقة ولكن العصي لم تترك لي المجال حيث تناولت صدري ومقدمة افخاذي وبطني فغاصت الكلمات بحلقي ولم استطع ان انطق ولو بحرف واحد فما كان مني الا ان رفعت رأسي بصورة لا شعورية واحنيت ظهري ووضعته بين فخذي وجلست القرفصاء وانهال الضرب على ظهري ورأسي ورقبتي وقد وضعت كلتا يدي على رأسي ورقبتي وكأن هاتين اليدين ليستا من هذا الجسم !! ولكن الحقيقة انها معركة بين الحياة والموت لشخص يؤخذ على حين غرة فلا يعرف ماذا يفعل او يحاول ان يعمل كل شيء في سبيل المحافظة على البقاء ولكنه مع هذا انه لا يستطيع عمل اي شيء .

وعندما سمع احد الضباط (الاشاوس) كلمة طبيب واذا به يتقدم نحوي كالمصعوق :

ـــ هو هذا الدكتور وزير الصحة مال الشواف ؟!

ثم اخذ العصا من احد الجنود وانهال علي بضربات اقسى من

ان توصف بالقسوة والشدة وهو يصرخ :

ـــ لازم الحقك اليوم بالشواف •

استمر الضرب وقد ازدادت سرعة الجنود بالضـرب وكنت لا ازال في وضعية القرفصاء وكانت العصي تنزل على ظهري وكتفي ويدي بصورة عامة وقد تغلب بعضها على مؤخرة رأسي واذا بصوت يصيح بهم :

ـــ بس ، بس ، راح يحجي !

ولم اكن هذه المرة بحالة تمكنني حتى من احصاء عدد العصي التي نلتها ولكنها تزيد على الفترة الاولى بكثير وتفوقها قساوة وشدة ولكن الذي اذكره جيدا انه ما كادت اخر ضربة تنقطع من عصي الجنود واذا برفسة قوية تدفعني من على كتفي الايمن وتدحرجني في الغرفة ممددا لاهثا متأوها بصوت اخرس •

وسرعان ما جاء عطشان ضيئول يحمل رسالة وجدوها في المفكرة عند التفتيش وكذلك أخذوا عند تفتيشي لاول مرة صور فوتوغرافية واحدة للاخ ناجي والاخرى للاخ مهدي وكذلك المفكرة وهويتي العسكرية وهوية النقابة وسألني بصوت اجش :

ـــ منين هذي الرسالة ؟

ـــ مكتوب عليها من ظاهر الشاوي •

ـــ شنو هو وشيصير من عبدالله الشاوي ؟

ـــ اخو عبدالله الشاوي وهو مدرس في ثانوية الاعظمية حاليا

وبعد مشاورة مع المدنيين الاخرين وهما كمال عمر نظمي وداود حماس والضابط رجع الي وقال :

ـــ زين اشيقصد بكلمة (مختلفين انا وانت مبدئيا ••) ؟

ـــ لا ادرى وانما جاء مرة الى بيتنا وسألني عن رأيي بانتخاب

نقابة المعلمين حيث كان الكلام يدور حولها وتناقشنا .

وهنا جاءتني ضربة كانها لسعة افعي على كتفي الايسر تلاه باخرى على رقبتي الملازم فريد الصفار وهو يقول :

— زمال دتحجي قصة ؟ يسألك شنو مختلفين مبدئيا ؟

— هو موجود هنا في بغداد يمكنكم سؤاله ؟

— يعني قصدك مراح تحجي ؟

وانهال الضرب من جديد وانا ابتعد تارة واصيح صيحات لا ارادية ولكن هل ننتظر الرحمة من جبان ؟

ونلت ما يقرب العشرين عصا من جراء تلك الرسالة السخيفة ولا اعرف كيف تركتها سهوا في جيبي وحتى اني لم اكتب جوابا لها .. وتوارد الى خاطري : ماذا سيكون مصيرى لو وجدوا رسالة او منشور او غير تلك الرسالة كتلك التي اخذتها من (ع . هـ) وبقيت في جيبي ثلاثة او اربعة ايام واعطيتها ويا للصدف العجيبة الى (أ.ق) صباح ذلك اليوم ثم عاود كمال نظمي السؤال :

— زين شني علاقتك ويه الدكتور محمد علي الامام ؟

— علاقة طبيب في مستشفى مع امر المستشفى .

— بس ليش جان يعتمد عليك ؟

— لانني كنت اقوم بواجبي حسب الاصول ولم يبد مني يوما اي تقاعس بواجبي او اهمال .

كان كمال عمر نظمي يوجه الي هذا الكلام وهو واقف عن يميني وفريد الصفار عن شمالي وعلى مسافة من رأسي وقف الملازم قاسم جراد وجلس على القنفة في هذه الفترة المدنيون الاخرون وثلاثة من العسكريين الذين ذكرتهم سابقا وفي هذه اللحظة دق جرس التلفون فاوقفوا الضرب في اثناء الكلام في التلفون وذهب الى التلفون

ضابط اسمر متوسط الطول والبنية ذو وجه شوهه الجدري وتركه الآن كانه قشر وسخ نقره الدجاج ولكن رغم انهم توقفوا عن الضرب بدأت اصرخ في اثناء حمل السماعة حتى استطيع اسماع صوتي ولو الى احد لا اعرفه وقد يكون اشد قسوة منهم فما كان من كمال عمر نظمي الا ان رفع قدمه ووضع اسفل الحذاء على فمي وهو يصيح :

ـــ انچب لو امرد حلكك واكسر اسنانك !

وبعد الانتهاء من المخابرة ذهب الى المنضدة الطويلة وسط الغرفة وقلب بعض الاوراق وعاود السؤال باسلوب فيه الكثير من التحدى :

ـــ لك ! زين ليش محمد علي الامـام ارسـلك للمستشفى الجمهوري للتدريب بدل الديمقراطي قحطان الربيعي ويريد يدزك بعثـة ؟

ـــ مو هو اللي دزني ولكن توجد مكاتبات رسمية بهذا الموضوع وانا كنت قد طلبت الفرع اولا ولكنـــه حـاول ان يأخـذه محلي بالتوسط .

ومنذ ان بدأوا بضربي وتعذيبي اخـذت اشـعر بعطش اخـذ يتزايد شيئا فشيئا ولكني الان اشعر بان حلقي (فمي) جف وبدأت اشعر ببعض الصعوبة في الكلام ولم اعد اشعر بآلام الضرب السابقة حيث ان الضربات الجديدة تحول دون ذلك ولكني شعرت بحرارة في جسمي تتزايد بسرعة حتى شعرت به يكاد يحترق واجلت بصري في الغرفة فرأيت ثانية الرئيس الاول صديق عبدالعـزيز جالسا في الركن الجنوبي من المنضدة وبيده قلم واوراق والسدارة في رأسه مما يدل على انه لم تصبه البهدلة كما اصابتني وهو ينظر تارة الى الاوراق ويكتب ومرة اخرى ينظر الي وكم تمنيت لو ادري ما هو شعور الاخ صديق تجاهي في تلك اللحظات القاسية ؟

واستمر كمال يسأل :

— زين منو هو اللي جان يجتمع وياك ويوجهك ؟

وهنا اسرع الملازم فريد الصفار بالجواب :

— ولك احجي احسن ! لان محمد علي الامام هم متآمر وقذر وسخ مثلك وهسة دزينة راحوا يجيبوه وشوف اشراح اسوي بحاله وابحالك اذا ما راح تحجي .

رافق فريد كلامه بثلاث رفسات متتالية بقدمه ومع هذا استطعت ان اتكلم :

— اصلا كل علاقة لا توجد لي مع محمد علي الامام عـــدا علاقتي به كطبيب في المستشفى وهو آمر مستشفى .

— رأيك به ؟

— والله اراه استاذا ناجحا واعظم جراح في الجيش العراقي .

— تف على هذا اللسان الوسخ !! ولك شنو قصدك عبالك انت طبيب وتقشمرنا وما راح تحجي ؟ لازم انخليك تحجي قـــوة مو مروة : اضربوه طلعو روحه ..

وتكرر الضرب ولم اعرف عدد الذين اشتركوا الآن في الضرب حيث اغمظت عيني وفوضت امري لله ولكني مع هذا كنت استغيث واستنجد بالله بمحمد بالاسلام بالانسانية وكررت كلمات متقطعة غير مفهومة :

— ياولو كونوا بشر والله آني بريء بريء لو اموت ما راح اكذب وكنت اشعر بالعطش يقطع لساني وفمي واحيـانا اعظ على شفتي باقوى ما استطيع عسى ان احدث بها الما ينسيني الام ذلك الضرب الذي مزق جلدي وبدأت شيئا فشيئا افقد آخر امل كنت اعلقـــه بالحياة وتصورت بانهم سيقضون علي لا محالة واذا تركوني على هذه

الحالة فانني سأموت ولكن سبحان الله الذي جعل الارواح بيده وهو على كل شيء قدير .

ومع هذا كله صاح كمال عمر نظمي :

ــ ولكم جيبوا الفلقة هذا ميفيد وياه !

ــ الخاطر الله آني ما اعرف شي وانتو تسألوني اسئلة ماعرف عنها كلشي .

ــ زين راح اسألك فد سؤال واذا جاوبتنا عنه مراح اسويلك فلقة !

وكان جندي قد وقف بجانبي وبيده الشبح الرهيب العامود والحبل المشدود وهو متهيء لكل امر لتنفيذه ومن حوله وقف ستة او سبعة من الجنود بالاضافة الى الضباط والمدنيين .

لماذا هذه الضجة ؟ هل هي ساحة معركة ام ماذا ؟ انها وايم الله لمهزلة ومأساة ان تتردى اخلاق الجنود والضباط الى هذا المستوى من الانحطاط وانحراف الوازع النفسي وموت الضمير وكان من بين الجنود الذين شاركوا في تعذيبي جندي اتذكره جيدا حيث كان قد راجعني للمستوصف العسكري عدة مرات واعطيته ادوية واجازات مرضية مع حسن المعاملة وقد عرفني هو كذلك بوضوح عندما كنت واقفا خلف الباب حدج في وجهي طويلا واقول الحقيقة انه احجم وتردد في بادىء الامر عن ضربي ولكن اضطر اخيرا الى المشاركة مع بقية الجوق وانغمس في هذا العمل المسلي اليس هذا جزاء من عالجه وشفاه من امراضه ؟!

ومن ثم استمع الى سؤال كمال :

ــ انت جنت تنظم الاطباء في مستشفى الرشيد فمن هم هؤلاء الاطباء ؟!

ـــ والله ابدا ماكو هيج شيء لان آني اعرف ان العسكري ممنوع عليه الاشتغال بالسياسة •• وما اتصلت بأحد أبدا •

ـــ ولك احنا مو نكذب عليك موهاي تقارير مال ثلاثين طبيب في المستشفى اشهدوا عليك وانت هسة تتنكر عبالك تخلص ! ثم التفت الى الجنود آمرا :

ـــ يالله شدوا فلقة يظهر ميفيد وياه غير نكسر رجليه !

وحاولت ان اصيح أو امنعهم من ادخال رجلي في الفلقة ولكني كنت اضعف من ان أقدر على ذلك •••

وهكذا أدخلت رجلي قسرا في الحبل وارتفع العمود الخشبي وابتدأ الضرب من جديد ، واحد اخذ مهمة الضرب على اسفل القدمين وآخر على مقدمة الفخذين والساقين واثنان او ثلاثة مهمتهم الضرب على مؤخرة الساقين والفخذين والعجز وكان مع الضرب يصرخ كمال عمر نظمي :

ـــ خطر ، ولكم اخطر واحد هذا جاكم اليوم ، هم طبيب وهم مجرم ! •• شوفو وجهه اشلون وجه مجرمين !

فيجيب فريد موجها لي الكلام :

ـــ هذا منو علمك هذى الصلابة وعدم الكلام على جماعتك ؟ مراح نفك عنك ياخة الى ان تموت وبعدين الصبح يسحلوك بالشارع ويذبوك بالشط ••

ثم يكمل كمال :

ـــ خطر ، مجرم •• ثلاث فايلات تقارير عليك ، اطباء المستشفى كلهم شهدوا عليك ، والسستر فيوليت كانت تراقبك وتكتبنا التقارير ، وفيوليت ابدا ما تكذب ، وهسة انت تنكر ، تحسب هذا الانكار يفيدك ؟

كانا يتكلمان وهما يحملان العصي علاوة على الجنود المنهمكين في عملهم على احسن وجه !! وكان هذا الكلام والعصي التي تقع من الحاكم (العادل) (والضابط المقدام) تزيدهم حماسة وسرعة في عملهم الفريد .

لم يفدني تألمي واستغاثتي شيئا وحاولت ان اطفر كما فعلت اول مرة بان أضع يدى لتحجز عن راحة قدمي ولكني لم استطع رفع جسمي عن الارض وبدأت احرك رجلي داخل الحلقة عسى الحبل ان ينقطع او اخلصهما بقدرة قادر ولكن محاولتي لم تأت بنتيجة وكان كمال عمر نظمي يحاول ان يستنطقني خلال التعذيب واحيانا يمهلهم عن الضرب ويسألني :

ــ سأخلصك من هذا البسط فقط اخبرني من هم الاطباء القوميون في مستشفى الرشيد الذين كنت تنظمهم ؟ واين كنتم تجتمعون ؟ وما القرارات التي كنتم تتخذونها ؟

ــ يا جماعة آني عسكري ما اشتغل بالسياسة ولم نجتمع عند طبيب قومي .. اذكر مرة اجتمت في بيت المقدم الطبيب رافد صبحي اديب وتناقشنا حول انتخاب النقابة واجتمعنا مرة في بيت الدكتور محمد الجلبي للغرض نفسه وليست لامور سياسية لاني عسكرى .. عسكري .. عسكري .

اما جواب فريد الصفار فكان :

ــ دماغ سز لمن تخدع بكلامك هذا عسكري ما اشتغل بالسياسة وانت على طول عندك اجتماعات وهؤلاء الاطباء كلهم وفيوليت يشهدون عليك !

وتهستر كمال الى درجة الجنون :

ــ ولك حقير شلون تحجي على الدكتور رافد هذا ديمقراطي

شريف وانت تتلفظ باسمه .

ثم اشار الى الجنود وهوى هو بعصاه كذلك :

ــ ولكم موتوه اضربوه الى ان يموت .

لم اعد اشعر نفس الشعور السابق بالالم حيث بدأت اشــعر بالخدر ولكن في اثناء الضرب اشعر بالم ليس على سطح الجلد وانما اعمق حيث ينغرس الحبل داخل الجلد .

لم اعد اقوى على الكلام بل بدأت احرك قدمي بقوة محاولا تخليصها من الحبل الذي كان ينغرس اكثر في اللحم واعتقدت انه سيقطع ساقي ويفصل القدمين عن الجسم ولكن وقع ضربات العصي كان اشد وامر وفعلا نجحت بما رمت اليه حيث انقطع الحبل وسقطت رجلاي على الارض وصرخ بهم العقيد هاشم عبدالجبار :

ــ ولــكم جيبو حبل اقوى من هذا ! وجيبوا البوري سووا فلقــة !

حاول جنديان رفع رجلي ورفست كل من حاول التقرب ليرفعها واخيرا رفعا رجلي اليمنى فقط حيث بقيت اليسرى طليقــة ممددة واشتد الضرب على المسكينة الرجل اليمنى وقد رفست احد الجنود الذين يمسكان برجلي اليمنى فما كان منهما الا ان تركا الرجلــين ممدوتين وانها لا على جميع اجزاء جسمي بالضرب دون هدف معين ودون رحمة او رأفة باي جزء من اجزاء جسمي الاخرى ..

حاولت ان اطلب الماء من هؤلاء الذين يرقصون على اشلائي :

ــ الخاطر الله .. الخاطر الانسانية شوية مي ، اكاد اموت ، والله راح اموت .. انطوني شوية مي وبعدين موتوني !!

اجابني احدهم لم اعد اتبينه :

ــ نتطيك سم ، لو تطلع روحك متشوف شوية مي ٠٠ الا اذا اخبرتنا عن ابي الجبن والاطباء القوميين الذين تشرف على تنظيمهم بالمستشفى ، وبعدين نجلب لك ماي وجاي !!!

ثم اردف الآخر :

ــ زين انت جنت تجتمع بضباط الصف والمضمدين في مستشفى الرشيد العسكري وانت تنظمهم وتجيب الهم نشرات قلنا من هم هذولة ؟!

بدأت الضربات تقل وتأتي متقطعة وبفترات متباعدة نسبيا اي كل نصف دقيقة واحدة تأتي ضربة او ضربتان مع الاستجواب ٠٠

ــ والله ماكو هيج شيء وما اتصلت ابدا باى واحد من ضباط الصف واذا واحد منهم شهد اني اتصلت به او فاتحته بالانتماء الى حزب فلكم كل الحق !

ــ ولك شنو قصدك ؟ لو زمال هم جان حجا وخلص من هالضرب ٠٠ ولكن انتو واحدكم اكثر من زمال ، واحدكم ما عنده عقل ٠٠ حيوانات ٠٠ سفلة ، ثم اكد الاخر :

ــ مو انت اتصلت بضباط الصف في جراحية الضباط وكانوا يجلبون الك الاخبار عن المناضلين الشرفاء في المستشفى ؟

واعقبه ثالث :

ــ زين بشرفك ؟ ابدا ما تصلت بالمضمدين وجابو لك اخبار عن الديمقراطيين ؟

ــ والله ماكو هيج شيء ابدا ابدا ، ولكن قحطان الربيعي وسعيد غدير ورافد صبحي اديب هم اتصلو بعريف ومضمد واخبروهما بمراقبتي ولكن العريف والمضمد اخبراني بذلك لانهما

يعرفان لا يوجد عندي اى تآمر ضد الجمهورية !

ــ منو هذولة المضمدين ؟

ــ واحد اسمه حسن والاخر اسمه حميد ولا اعرف اسم ابيهما .

ــ زين اشكالولك ؟

ــ قالا : ان قحطان ورافد وسعيد اخبروهما بمراقبتي لاني قومي اعمل ضد الجمهورية ! واني اجتمع مع الضباط القوميين النائمين في المستشفى .

ــ طبعا انت قومي وتعمل ضد الجمهورية !

علق بهذه الملاحظة هاشم عبدالجبار اما فريد الصفار فقد نفد صبره :

ــ ولكم انتو ملازم واحد يحقق معاكم لكن طلقة طلقة مال جلاب ويذبكم بالشط .

فأجابه كمال عمر نظمي :

ــ لا ابدا سلمهم طيبين بيد الشعب ويسحلوهم بالشوارع مثل الكلاب !

ثم وجهوا لي الكلام من جديد :

ــ من هم الضباط اللي جانو يجون عليك بالغرفة ؟

ــ جميع المرضى احيانا يأتون يسألون عن الدواء واستعماله أو يستفسرون عن حالتهم الصحية وغالبا ما يجلسون للراحة .

ــ مثل من ؟

ــ مثل العقيد انور بابان وضياء وغيرهما .

ــ من هم غير هؤلاء ؟

ــ كثيرون .

ـــ ما كنت تلقي محاضرات عن الوحدة والقومية ؟

ـــ ابدا وبأمكانكم الاستفسار منهم لانهم موجودون في بغداد ٠

ـــ احنة ابدا ما نستفسر من احد ، وغصبا عنك تخبـرنا ولو انت ميت !!

ـــ ٠٠٠٠٠٠ !!

ـــ ليش رحت اخبرت الامام بذلك ؟

ـــ لاني ضابط في المستشفى ومرتبط بآمـر المستشفى وقـد وجهت الي تهم أنا بريء منها ٠٠ لذلك اخبرت الدكتور الامام حتى يحقق بالموضوع ٠

ـــ انت كنت تدور على الاطباء وتسجل اسماءهـم ؟ وكذلك كنت توزع منشورات ممنوعة ٠

ـــ ان الاسماء التي كنت اسجلها لجمع اشتراكات في الجمعية الطبية اما عن النشرات فاني لم اوزع اي نشـــرة في المستشفى او خارج المستشفى ٠

ـــ ماكو غيرك يجمع اشتراكات ؟

ـــ الجمعية كلفت الدكتور ادمون شكر وصدفة رآني فكلفني بها وقمت بمجرد واجب تجاه الجمعية ٠

فاكمل كمال بصورة استهزائية :

ـــ طبعا وكنت تعمل دعاية لجبهـة معينة وتدعـو لانتخـاب اشخاص معينين وتبث دعاية مغرضة ضد الديمقراطيين الشرفاء !

ـــ ابدا ما عملت اي دعاية لجماعة ولكـــن مجـرد جمعت الاشتراكات واعطيتها للدكتور ادمون وهو بدوره سلمها الى الجمعية حتى اذكر انه قال لي بالحرف : راجي هاي جمعية علمية كل واحد يشترك حتى يستفيد من ناحية علمية ٠

توقف الضرب هذه الدقيقة تماما وكان آخر من سحب يده هو عطشان ضيؤول اما الجنود فقد تبادلوا العصي مع بعضهم ولستادري السبب في ذلك اما فريد الصفار والملازم قاسم جراد وكمال عمر نظمي فكانوا واقفين على اهبة الاستعداد والهراوات في ايديهم والضباط الآخرون بدأوا بنزع سترهم الشتوية لانهم يظهر قد شعروا بالحماوة من عملهم المضني !! اما انا فقد شعرت بالراحة او بالاحرى شعرت بفقدان الالم من شدة الالم وكاد العطش يقتلني فقد تيبس لساني وتخشب اما جوفي فكان يلتهب كالفرن الحامي ولولا توقعي القتل الفضيع على يد هذه المخلوقات الضارية لامتنعت عن الجواب ولكن لابد ان اجيب بعد ان نزل السؤال صارخا على مسامعي وبصورة مفزعة :

ــ ولك مجرم ! شوف ؟ راح اسألك آخر سؤال ، اما تجاوبني واتخلص نفسك ! لو راح تفقد روحك للابد ، اتشوف العصي ؟ والجماعة هسة بدلوا ! وشوف متحضرين لسحلك « وهنا رددت مع نفسي : لا حول ولا قوة الا بالله واشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله ، وهنا اجلت البصر بين جميع الواقفين حولي كالكلاب المكلوبة وهي تحاول الانقضاض على الفريسة ومن ثم بسرعة خاطفة استعرضت حياتي ثم رددت ! لا حول ولا قوة الا بالله ومن ثم سمعت الشق الثاني من السؤال وهو يصعق اذني » :

ــ من الذي كان ينضمك ؟ وهل هو عسكري او مدني ؟!

وسألت نفسي من الذي ينضمني ؟ هل هو (ع ٠ هـ) او (ع ٠ م) وكيف ستكون نهايتي او نهاية اي واحد منهما ان قلت شيئا عنهما ؟ وشكرت الله الذي وهبني قوة وصلابة وحمدته على مساعدتي في احلك الظروف وتوكلت عليه فحرك لساني بهذا الجواب :

ــ ابدا ماكو واحد ينظمني لا عسكري ولا مدني ولا انا

متصل بأحد ..

وما كدت انطق باخر كلمة حتى هوى سقف الغرفة ليطبق على اخر ما بقي من انفاسي وتحركت الجدران نحوي من اركانها الاربعة لتعصر عظامي وتحطمها تحطيما كاملا فقد نزلت العصي متسارعة متلاحقة كالمطارق تنزل على قطعة ساخنة من حديد لتحولها كيف تشاء ولم اعد ارى الا ضياء مشرقا بدا يومض من اعماق كياني وكنت اسمعه جليا واضحا يصيح : الله الله الله الله الله .

ولولا رحمة الله وقدرته لهلكت من ربع ذلك الضرب الذي اصابني حتى تلك اللحظة وقد طال الضرب واستمر على ضراوته ما يزيد على الربع ساعة ويعلم الله اني رأيتها تعادل سنة أو سنوات طويلة (وقد صدق انشتاين !) . والذي انقذني من شر هذه الفترة الخطيرة هو ذهاب العقيد المجرم هاشم عبدالجبار بعد ان نادوه من القنفة المحاذية على بعد ياردتين من مكاني وذهب الى التلفون وطلبوا من الجنود الكف عن الضرب .. فما كان من كمال عمر نظمي الا صرخ بي :

ـــ قم وسر في الغرفة !!!

حاولت ان اتحرك فلم استطيع ان احرك عضوا من اعضاء جسمي قط ونظرت الى الواقفين حولي ، هؤلاء الاوباش الى هذه الكائنات المفترسة التي لا تشعر وكانما عيني افهمتهم : وهل بعد هذا التحطيم والتكسير حركة ؟!

وامر كمال :

ـــ زين جنود اثنين امشوا بي بالغرفة !

ولم اسمع اكثر من ذلك ولكن احسست بيدين اثنتين تمسكان شعر رأسي كل من جهة وتسحباني بقوة الى الاعلى حتى اوقفني

الجنديان (الشجاعان) بهذه الطريقة ووضع كل واحد منهما يده تحت ابطي وبالاخرى ممسكا شعر رأسي وسارا بي في الغرفة حول المنضدة الطويلة وكان الملازم الطيار (الشريف جدا) فريد الصفار يسير خلفي وهو يضربني برجله (بالجلاقات) وعرفته من صوته وسبابه وشتمه البذيء والابذأ من البذيء . والحقيقة انني لم اشعر بآلام رأسي في أثناء سحبي ولا بالرفسات التي انهال علي بها الطيار (النابغ) بقدر الآلام التي كانت متركزة في اسفل قدمي (الراحتين) فرغم ان الغرفة كانت مفروشة ببساط وثير (زولية) الا انني بدلا من ان اشعر بنعومة هذا البساط كنت احس كأن الارض مزروعة بمسامير لئيمة مدببة تهرش راحتي قدمي ولم تستطع مفاصل الركبتين او الفخذين من الربط بين اجزاء جسمي المفككة ولم اعد اشعر بوجود ساقين ولا فخذين ولكن اشعر فقط باسفل القدمين تنهشها الجروح النازفة وكان الجنديان يسيران بي بطريقة اقرب الى السحل منها الى السير وكان رأسي قد تهدل من الامام الى الاسفل ولم اعد اشعر حتى بالخيط الرفيع الذي كان يصله بجسمي ولا بالقوة التي تحافظ عليه ولو بقليل من السيطرة والضبط ودارا بي حول المنضدة الطويلة وقد تبعثرت فوقها عشرات الملفات والاوراق ولا يزال الرئيس الاول صديق عبدالعزيز جالسا وهو ينظر الي تارة ومن ثم يعاود الكتابة من جديد .. وبعد دورة كاملة حول المنضدة رماني الجنديان على كرسي بالطرف الشمالي من المنضدة وخفت الالام التي في اسفل قدمي نسبيا ولكن الآلام تحولت الى منطقة الفخذين والاليتين حيث شعرت كان الكرسي هو الآخر مزروع باشع المسامير وبكل ما تبقى لدي من قوة وارادة رميت بنصفي الاعلى على المنضدة وطرحت رأسي على ملفة من الاوراق ولكن يظهر ان الملازم قاسم جراد كان لي بالمرصاد حيث

سحبني من الخلف من شعر رأسي ثم ضربني سطرة على خدي الايسر وقال في صوت اجش :

ــ اجلس عدل !

وصاح الرئيس الاول (عبدالرزاق الزبيدي) ذو الوجه المستدير الممتلىء المنتفخ الاوداج !

ــ لا خلي .. هو ما حجا شي ، ولكن هسة راح يكتب كلشي !!

ثم نادى احد الجنود :

ــ تعال روح جيب ماى وجاي !

وجاء كمال عمر نظمي بورقتين بينهما كاربون .

وقلم (قوبية) ووضع الورقتين امامي واغرس القلم في يدي .

ــ خذ هذه ودون افادتك وهسة راح يجبلك جاي وماي وبعد ما احد راح يعذبك .

ــ لكن شنو اللي راح اكتبه ؟؟

ــ اكتب اللي تعرفه عن (احمد ابو الجبن) وعن جميع الاسئلة اللي سألناك اياها وبعدين هسه نطلق سراحك وما احد يعترض بيك ولا يضربك واذا ما تكتب هم راح تنبسط النوب الى ان تموت واذا ما مت ترى عليك شهود كثيرين وراح تنحبس مدى الحياة لو تنعدم ، لكن انصحك !!! ان تكتب كلشي اللي تعرفه .

اخذت القلم وحاولت جاهداً ان اضعه بين اصابعي دون جدوى واحلف بالله انني لم اعد قادرا على تحريك اصابعي حيث كانت متورمة وكذلك الحال في راحة اليدين وظهر الكفين وكانت اليد اليسرى متورمة خاصة قطعة زرقاء منتفخة وكم تمنيت ان يأتي الماء في تلك اللحظات التي ارتاح فيها جسمي من الضرب واللكم والرفس وقد

شغل تفكيري : هل سينقطعون عن ضربي ام هذه فترة راحة واستجمام ؟! وشعرت بشيء من خفقان القلب والغشاوة امام عيني والغثيان واللهيب الذي يحرق جوفي وكانت عيناي تتطلعان الى الماء الذي لم يأت حتى الآن وربما تباطأ صاحبنا في ذلك مع سبق الاصرار !! وكنت عازفا عن الشاي بقدر رغبتي للماء .. ثم سألت نفسي ماذا عسى ان اكتب يا ترى ؟!

وتواردت الاسئلة متلاحقة الى فكري بسرعة خاطفة وفكرت هل حقا سيضربونني مرة اخرى بعد ان اجلسوني على هذا الكرسي ؟ وارسلوا في طلب الشاي والماء لي ؟ اجبت نفسي : اعتقد انهم عذبوني بما فيه الكفاية الى حد انهم تعبوا من الضرب جميعا ؟ ولكن ما ان ارفع رأسي لارى اشباح الجنود يتجولون في عرض الغرفة وحول المنضدة وبيدهم العصي يلوحون بها وكذلك ينظرون الى ما يكتبه الرئيس الاول صديق الذي جلس في الطرف الجنوبي من المنضدة وفي الجهة المقابلة لي تماما .

وامسك فريد القلم وضغطه بين اصابعي بعنف وهو يصرخ :

ــ اكتب !!

ورغم ان الماء الذي وعدت به لم يأت بعد فقد كتبت الكلمة الاولى بصعوبة وبصعوبة أصعب من أن أستطيع وصفها خططت :

ــ اني لا !...

وهزني فريد من كتفي وبجانبه كمال عمر نظمي :

ــ اخبرنا اولا ماذا ستكتب ؟

وقلت :

ــ اني لا اعرف احمد ابو الجبن ولا توجد لي اية علاقة سياسية معه ولا مع غيره .

فأجابني كمال :

ــ ولك كلب بن الكلب ، جحش ، حيوان ، قدرناكوارسلنالك على جاي وماي وبعدين هذا اتريد تكتبه ؟ وفي هذه اللحظة دخل الجندي يحمل بيده كأس الماء ، فاشار اليه كمال عمر نظمي :

ــ ولك رجع الماى !

ثم اكمل يسحبني من سترتي وطرحني ارضا من الكرسي وكانت السحبة قوية محطمة وسرعان ما سحبوني من السترة الى محلي الاول وتنادى الضباط (الشجعان) والحكام (العادلون) بأصوات كلابية نابحة :

ــ اجلبوا العمود الحديدي وحبل المشنقة !

رفعوا رجلي هذه المرة وادخلوها بسرعة اذ كنت اضعف من ان استطيع مجرد التفكير في المقاومة او الممانعة عن ادخال رجلي داخل حلقة الموت واعيد الاستجواب والضرب سوية ولا اعرف عدد الذين اشتركوا في الضرب ولم يعد جسمي يميز ضرب العصي عن لسع الكلمات البذيئة الجارحة ولا البصاق الذي غطا وجهي الذي لا سبيل الى لمسه حيث ينساب البصاق بحرية تامة على جبيني وعيني وخدي ليختلط مع الدماء النازفة من الكدم التي ملأت سطح الجلد ..

كان الضرب شديدا على اسفل القدمين والفخذين انه اشبه بوخز الدبابيس واشد الالم كان يقع على مقدمة الساقين حيث كانت ضربات العصي تجد لها صدى على عظمي الساقين وكانت احدى العصي فيها نتوءات مدببة فتنغرس في جسمي وكنت اميز آلامها عن سواها (وقد تركت آثارا في الساقين لا تزال واضحة للعيان حتى الآن) .

ورغم هذا فالذي كان يهذي ويصرخ كمال عمر نظمي وقد ميزت بعض الهذيان الذي كان يتقيأه :

ـــ زمال ، احمق ، سافل ، يتصور نتركه قبل ان يؤيد كل الاثباتات اللي عدنا .. سألناك عن (ابو الجبن) ما تقول الجواب ، وعن عبدالرزاق حمدي وتنكر ، وانت كنت تجتمع وياهم من الصبح للمغرب بالمستشفى او تشترك وياهم بالخطط والمؤامرات ..

ـــ والله ما ..

وقبل ان اكمل جوابي قاطعني الملازم قاسم متحديا :

ـــ الي ما شايفني بالمستشفى ؟

ونظرت اليه وحسبته جادا ـ وحاولت ان اتذكره ، وكنت قبل قليل قد رأيته بالغرفة اليسرى ولكني لم اكن قد رأيته قبل هذا اليوم المشؤوم واجبته باني لم اره أو اتذكره .

وهنا اندفع نحوي كانه وحش كاسر افتقد اولاده على يدي وتناول عصى من احد الجنود :

ـــ طبعا ما شايفني ، طبعا ما تعرفني لاني مو (ابو الجبن) وما تتآمر وياي .. انا شهرين نايم بالمستشفى وموفد يوم جيت وزرتني وسألت عني .

وانهال علي بالضرب باقسى ما يستطيع ولم يضربني على رجلي او قدمي ولكن على صدري وجنبي الايمن ورغم انني وصلت الى درجة من الضعف والانهاك فلم انته للسكون والاستسلام بل كنت كالذبيحة التي تذبح وتترك تتقلب وهي تنازع حشرجة الموت ولكن لا خلاص لها فكنت اتقلب ذات اليمين وذات الشمال رغم ان رجلي معلقتان بالحلقة السوداء حلقة الفلقة بل حلقة الموت الفضيع فعندما اتقلب تساعد الحركة في تضيق الحبل على اللحم الطرى الذي لم يعد قادرا على منعه من الغوص داخل اللحم حتى استقر حول العظم بشراهة (ولا تزال آثار الحبل ظاهرة الى اليوم تذكرني بتلك الليلة

التي كانت اشبه شيء بكابوس مخيف وحلم مزعج أشد وابشع ما يتصوره بشر) .

(وانا اخط هذه الكلمات وتوجد في مكان أربعة خطوط وفي بعض المناطق ثلاثة خطوط واخرى خمسة خطوط بادية للعيان فوق الكعبين اضافة الى الاظافر الخمسة المقلوعة والخمسة الباقية السوداء نتيجة لتشقق اللحم من تحتها ونزف الدماء وتجمدها ولكنها لم تقع في حينها لكن لم تلبث ان تساقطت بعد حين وكذلك اثر الظفر الذي شق الابهام الايمن وغاص داخل اللحم وحتى شطر العظم الى قطعتين وهذا علاوة على الكسور الخمسة في يدى اليمنى والقدمين التي ساشير اليها في الصفحات القادمة وحسب تقارير الاشعة المرفقة) .

وهكذا اصبحت حالتي ورغم تقلبي واستغاثتي لم تغير في نفوسهم المحرومة من كل شعور انساني والخالية من الرحمة والمنزوعة عن كل ضمير او وازع نفسي .

كانوا يتلذذون ويتضاحكون على حالتي هذه بل اسكرتهم نشوة القوة هذه والجبروت والسلطنة ومتى يشعر الجبناء بالشجاعة اذا لم يشعروا بها في مثل هذه الحالات ؟ ومتى كان لمن لا اخلاق لهم ولا شرف ولا نبل ولا كرامة او ضمير او وجدان او احساس بانسانية ؟ هذه كلها طبعا روحانيات ومعنويات بعرفنا وشرعنا اما هم الذين لا يعترفون الا بالمادة فيهون عليهم الضرب والتعذيب وقلع الاظافر والكلام البذيء وتكسير العظام .

ان شنق المتهمين وباعمدة الكهرباء والسحل من الرجلين ومن الشعر والاربطة اشياء محسوسة فهي اذن مادية يعترفون بها ويمارسونها بفخر واعتزاز وبأي شيء يفخر عديموا الاخلاق الا بالرذائل ؟

ذلك ما كنت اشعر به وهذا ما يشعرون به وشتان ما بيننا وهم

الآن بيدهم كل شيء القوة والسيطرة والعصي والمسدسات والحرس والجنود اما انا فلا املك من هذا شيئا وانا مستضعف في نظرهم ولكني كنت انذاك املك العزيمة والارادة والشرف والاخلاق والضمير والشعور الانساني وها انذا اقوى منهم رغم انني ممدد على الارض بلا حراك وسابقى اقوى منهم شاءوا ام أبوا وهم في قرارة نفوسهم يشعرون باني اقوى منهم واشد شكيمة واصلب عزيمة وارفع منهم نفسا واسمى شرفا فانا لم اسرق في حياتي قط وهم أكثرهم سراق واولاد سراق انني وطني بكل ما في هذه الكلمة من معنى ولا اخدم سوى وطني المتمثل في الشعب العربي الذي يسكن هذه البقعة من المحيط الى الخليج وهم عملاء السفارات الاستعمارية وسيان عندي العميل او الجاسوس لدى السفارة الروسية او الامريكية او الانكليزية فلا فرق عندي بين كمال عميل الروس ولا بين ابيه عمر نظمي عميل نوري السعيد والانكليز فكلاهما خان تربة الوطن الذي يعيش فيه ويطعمه من خيراته اما انا فلم افكر قط ولن افكر في خيانة هذه التربة المباركة التي اعيش عليها .. لم اخن واجبي يوما قط .. ولم اخن اصدقائي في يوم من الايام .. ولكن تبين لي مع الأسف الشديد ان كثيرا من (اصدقائي !) خانوني في هذه القضية بالذات ولفقوا الاكاذيب علي بحماسة والحاح شديدين !..

لم اجد بصيص امل في ان ادخل اى احساس او شعور بالانسانية حتى يتركوا ما تبقى من هذا الجسم الذي اشبعوه ضربا وتحطيما ولكن هيهات ان يمسوا الروح التي تحل في هذا الجسم مهما عذبوا وتوعدوا واوغلوا في العنف والوحشية .

ولم أجد سبيلا لتخليص نفسي أو بالاحرى عظام صدري الا ان اضع وجهي على الارض وكذلك صدري وبطني ووضعت يدى على

رقبتي - منطقة المخيخ السفلى) مع ان رجلي لا تزالان مشبوحتين الى عمود الفلقة والضرب مستمر في كل منطقة من جسمي سوى القسم الذي ارتكز على الارض ولم يعد صوتي يساعدني على الاحتجاج حيث التيبس الشديد الذي جعل حركته تصعب في اللحظة التي عجز لساني عن الحركة الهمني الله سبحانه وتعالى ان اتدارك نفسي بحيث عمدت الى الركود والسكون التامين حتى يشعروا باني مت أو أنا أقترب من ذلك ويظهر انالعملية انتجت بالحالحيثانقطع الضرب بصورة مفاجئة واعتقد انه بناء على طلب من احد اعضاء هيئة التحقيق الموزعين على الغنفات وتناهى صوت اجش يخاطبني بفعل الآمر بشدة وبشدة :

ـــ اقلب جسمك عدل !

حاولت ان اعدل جسمي ولكني لم استطع ولم تساعدني يداى بالارتكاز على الارض لاقلب جسمي واضع ظهري ناحية الارض وفي هذه الاثناء امتدت يد قوية وامسكتني من كتفي الايمن وقلبتني قسرا واذا انا وجها لوجه مع ابشع وجه رأيته واقسى انسان على وجه البسيطة الا وهو وجه الوحش القذر كمال عمر نظمي الذي صاح منتصراً :

ـــ انت تعتقد باصرارك وتعنتك تحسبها انت صلابة ؟

لكن احنة نعرفها حيونة وحماقة من حضرة جنابك لان هسة عدنا ثلاثين شاهد عليك والتقارير اللي اجمعتها عليك تعبتني وانت تنكر كل شيء ، هسة راح انصيح من الجماعة الشهدوا عليك والله اذا ما اعترفت بعدين لنسويك طحين ومن الشباك انذبك بالشط .

واجابه فريد الصفار :

ـــ لا سيدي يرتاح اذا رميناه بالشط لكن باچر انسلمه للشعب وخلي يسحلوه ويسوون بيه مثل ما سووا بامثاله بالموصل .

واذا بصوت (النشال) داود خماس يشق الصفوف من مكانه وهو جالس على الكرسي :

— ولـكن الاطباء يكونون ناعمين وارقاء ويخدمون الانسانية !!

ولم افهم لهذا التعليق مغزى ولكن فهمت كلام الوحش الاسمر وهو يجيبه :

— هذا والانسانية شنو ، شوف وجهه شكل الاجرام ظاهر عليه ، مجرم ، اخطر واحد هذا .. تصـور التنظيمـات والخـلايا بمستشفى الرشيد ومعسكر الهندسة ومعسكر الرشيد كلها هو يديرها ويشرف عليها ، وشوفه حيوان متعنت ؟!

ثم امر بصوت عال :

— جيبو العريف عبود ..

ولاول مرة اترك لمدة ثلاث او اربع دقائق لا غير بشبه راحة وراح الجميع يأخذون انفاسا عميقة ويستعدون لجولة جديدة وحاولت ان اطلب قليلا من الماء حيث كدت اموت ظمأ وعطشا ولكن بدل الماء جاءتني رفسة مع عدة بصقات متسارعة على وجهي وكلمات خسيسة من هذه الالسن الموبوءة .

وفي هذه الاثناء دخل جنديان يتأبطان شخصا او شبح شخص لا يستطيع الوقوف على رجليه او السير منفردا حيث وضع الجنديان ايديهما تحت ابطيه ليمنعاه من التداعي على الارض حيث كان يسحب جسمه وهو يتكيء على ايدى الجنديين وثم تبع ذلك الجسم ساقاه المتدليتان العاجزتان عن اية حركة وكان رأسه متدليا الى الاسفل وقد انتفش شعر رأسه مما يدل على كثرة الضرب والنتف وكان عاجزا عن الحركة وانما مجرد هيكل يحركه هذان الجنـديان (الجبانان) وحاولت ان اتفحصه وانا ملقى على الارض اشبه بجثة هامدة فعرفت

انه العريف الذي كان يحقق معه الحاكم (بائع الفرارات) داود خماس والحاكم (الوحش) كمال عمر نظمي في أثناء تفتيشي ساعة جلبي لاول مرة في هذا المساء (المبارك) فكان حاسر الرأس اشعث الشعر والانهاك كان ظاهرا عليه بوضوح وأي انهاك يصيب الانسان أشد من انهاك الضرب والتعذيب بلا رأفة او رحمة وتذكرت لماذا كلماه عند تفتيشي اولا وكيف ادار رأسه تجاهي ومكث فترة من الزمن وهو يطيل النظر ويتسمر في وجهي وطولي فقد عرفت السبب الان عندما سأله عطشان ضيئول :

ـــ مو هذا الطيب اللي كان يجي الى معسكر الهندسة ويجتمع مع الضباط القوميين ؟

أجاب العريف المسكين الذي اخرجوه لتوه من حفلة التعذيب بصوت متقطع واهي النبرات وهو يستجمع قواه ويلهث انفاسه ويشير بيده اليمنى تجاهي ولكن ما ان يؤشر الي وتخونه قواه رغم ارادته واخيرا نطق :

ـــ بـ لـ ى •• هو •• هـ •• ذ •• أ •• !!

لم يستطع العريف المحمول على الاكتاف من كثرة الضرب ان ينطق بغير هذه الكلمات والحقيقة ان هذه الكلمات الثلاث وقعت علي وقع الصاعقة لانني اولا لا اعرف هذا العريف ولم اشاهده في حياتي مطلقا ـ قبل هذه الامسية ـ وانا اجزم بذلك لاني استطيع الى درجة ان اتذكر الاشخاص الذين اصادفهم في هذه الحياة • •ولا سيما انه ادلى بهذه الشهادة الباطلة وهو يجيب بهذه الكلمات (بلي هو هذا) وقد تصورها كلمات سهلة لا غبار عليها وقد نسى ما تخبئه هذه الكلمات الثلاث من عصي غلاظ وقلوب اغلظ واقسى وقد تعقبها احكام وسجون حالكة لا يعرف مداها ولكن الانسان الذي ينظر حالته المهدمة وجسمه المتداعي في هذه الساعة بما يرثى له وللسانه عندما

نطق بهذه الكلمات الثلاث فقط فحاولت ان ارفع رأسي وقد صعقتني هذه الكلمات الثلاث فلم يسعفني الرأس المهشم ابدا وسحبت يدي اليمنى لاشير اليه محتجا ولكنها هي الاخرى كانت مخدرة مطروحة بجانبي وكذلك جسمي فقد كان اثقل من ان افكر برفعه او حركته ولم يبق عندي الا سلاح اللسان فاردت ان انطق باعلى ما استطيع عسى ان يسمعوا صوتي الذي ياخذ بالخفوت بعد ان اثر عليه التيبس والجفاف وقلت بالحرف الواحد :

ـــ بشرفك انت تعرفني وشايفني قبل اليوم ؟

ولم استطع أن ازيد ولو حرفا واحدا على ذلك ولـكن شعرت ان جسمي تحرك قليلا مع ثورتي هذه وارتفع رأسي عن الارض ما لا يزيد عن ثلاث انجات وما ان اكملت جملتي هذه حتى سقطت على الارض ثانية وهنا شاهدت العريف يخفي رأسه الى الاسفل بعد ان رفعه قليلا تجاهي او ان رأسه سقط تلقائيا على صدره بعد ان فقد السيطرة عليه او جمله اكثر مما يستطيع برفعه عدة ثوان ويظهر ان كلماتي اخجلته فغضى بصره عني بالحال ولم اسمع منه بعـدها اي كلمة ولكني سمعت ما هو امر واقسى حيث اتجه الي عطشان ضيئول وبصوت اجش :

ـــ انجب زمال ، انت محقق وتحلفه .. ؟

ثم التفت الى الجنديين آمرا :

ـــ زين طلعوه بره .

واخرج الجنديان العريف وهما يسحلان جسده بينهما . بينما كشر عطشان ضيئول انيابه تجاهي وكأنه يريد افتراسي وهو يثـور غاضبـا :

ـــ تقول ما اعرف (ابو الجبن) ؟ تقول انا ما رحت للهندسة ؟

ما اجتمعت بالضباط ؟ ما سمعت باذنك شهادة العريف ؟ وأكو عندنا عشرين شاهد عليك .. وكلهم شايفينك تروح للهندسة وتجتمع مع (ابو الجبن) وعبدالرزاق حمدي وبقية الضباط فهسة قل لنا على اسماء الضباط وانا أؤكد لك ماكو كلشي عليك !!! ولا احد يؤذيك بعد !!

ــ لكن والله الذي قاله العريف كذب وانا ما اعرفه ابدا .

ــ انت ما تعرفه جان يشوفك على طول !

ــ والله ومحمد انا صادق بانني لم اجتمع بضباط معسكر الهندسة ولا اعرف (ابو الجبن) انتم ما اسلام ؟ تصدقون عريفا قد يكذب او ربما يشتبه بواحد يشبهني ؟

وهنا جابهني الحاكم (السيء) داود خماس وهو جالس على القنفة على بعد ثلاثة اقدام مني وبصورة استهزاء وتحد :

ــ ها .. ! شايف واحد يشبهك ؟ مو انت راجي عباس التكريتي .. ؟ هذا لمن دتقشمر بهذا الكلام ؟!

وما ان سمع الرئيس الاول عبدالرزاق الزبيدي حتى صاح ضاحكا وياله من ضحك قتال :

ــ ها انت ولك تكريتي ؟ شيصير منك الكلب العقيد حاج صادق الجعفري ؟

ــ مجرد تكريتي وما توجد لي اي علاقة وياه .

ــ هذا هم نذل وجبان مثلك .. انتو كلكم التكارتة انذال خونة . !!

ويعلم الله من هو الخائن والجبان ومن هو الوطني الشجاع اما الآن وفي هذه الظروف وهذا الموقف بالذات فهؤلاء هم الغيارى على المصلحة الوطنية المتباكون على الجمهورية وها انذا اسمع ان حاج

صادق نذل وكلب ابن كلب فمتى يكون الحاج المتدين الذي لا يسرق ولا يكذب ولا يخون جبانا ونذلا ؟ وانا اعرف الحاج صادق جيدا فهو صديقي وزوج عمتي واعرف مدى صلاحه واعتدال سيرته وتدينه ولكن انا لله وانا اليه راجعون .. وهل حقا اهالي تكريت مدينة صلاح الدين الايوبي التي يعرف التاريخ القديم والحديث بانها المدينة التي لا يتسرب اليها الشك ولا يمكن ان تمتد اليها يد الخيانة باية حال من الاحوال ومن اي جهة كانت قط ولكن يحق لتكريت وابناء تكريت ان يفخروا بهذا المديح الذي جاء على لسان هذا الوغد المتعجرف :

ويرحم الله المتنبي عندما قال :

واذا اتتك مذمتي من ناقص فهي الشهادة لي باني كامل

ولم يكتف بذلك بل رفسني برجله وصاح :

ـــ خذوه بعيدا واعطوه درسا حتى يعرف هؤلاء الحقراء معنى الوطنية ومعنى الحرية والديمقراطية والسلام !

وسحبني احد الجنود او بالاحرى قلبني من كتفي الى جهة اخرى فانهالت في الحال علي ما يقارب من عشر عصي لا اعرف مصدرها ولكن كنت اشعر بوقعها المؤلم المميت وفي هذه الاثناء نادوا العقيد هاشم عبدالجبار الى التلفون مما حدا بهم الى الكف عن الضرب وحاولت ان اجرب الطريقة الاولى فاستغيث بصوت مرتفع لعل الذي على التلفون من الطرف الثاني قد يكون أكثر رأفة من هذه الوحوش الضارية ـ اي كأمل الغريق في عود طاف على وجه الماء او كأمل المثلوج في بصيص نور بعيد ـ ولكن مع هذا فقد خانني صوتي هذه المرة ولم استطع ان اسمعه انا نفسي وانما فقط استطعت ان احرك شفتي بصورة واهنة ونادى عطشان ضيئول على الجنود :

ـــ جيبوا للطبيب العسكري !

وهنا اعتقدت بانه قحطان او سعيد او رافد او ثابت وذلك للشهادة ومقابلتي وجها لوجه فتصبرت واتكلت على الله وصرت بيني وبين نفسي اذكر الله بصدق وايمان واساله ان يساعدني على هؤلاء الحاقدين ... وما هي الا دقائق معدودات واذا الدكتور صادق علوش يدخل بين ثلاثة جنود وكان بكامل هيئته العسكرية وهندامه يسر الناظرين مما يدل انه لم يصب بأذى ولكنه على درجة كبيرة من الارتباك والشحوب والاصفرار وقد تصدى له فريد الصفار بسؤال هامس لم استطع ان اتبينه ورفع فريد يده ليضربه ولكن الدكتور صادق استدرك بسرعة وقال بصوت مرتجف :

ـــ انا يعرفني رئيس اول سعيد مطر كلش زين اسألوه عني ... !

واذا بفريد الصفار يدير وجهه الى شخص كان يقف قبالتي اسمر اللون كثيف الشارب اسوده والشرر يتطاير من عينيه كأنه دب اسود وهو ينظر الي ولم اكن قد رأيته من قبل وسأله فريد :

ـــ سيدي صحيح انت تعرفه الهذا الطبيب ؟!

وادار هذا الدب الضاري وجهه نحو صادق :

ـــ بلي بلي ! انا اعرفه ، وهو راح يكتب كلشي !!!

واسرع كمال عمر نظمي نحو صادق وسأله بصوت هادر يوحي بالرهبة والتهديد !

ـــ انت تعرفه الهذا ؟

واشار بيده نحوي فنظر الي صادق مليا ولا ادري ماذا كان شعوره تجاهي في تلك اللحظة وقد اسعفني الحظ في تلك الفترة وجاءتني فكرة باني كنت معروفا باني شيوعي في الكلية الطبية (حيث

ان كل وطني في ذلك العهد المباد شيوعي) رغم ان الدكتور صادق قد احتك بي عن كثب وعرفني بقوميتي المتطرفة لا سيما عندما يحتد النقاش مع الانتهازيين وادعياء الشيوعية في المستشفى او في الجلسات الخاصة وهكذا اجتهدت ان اعيد ذاكرته الى ايام الدراسة او بالاحرى اردت ان يشهد علي عما كان شائعا عني بالكلية لعل ذلك يخفف من الضرب او ربما يكفون عن ذلك تماما او على الاقل يقلعون عن الاستفسار عن اسماء القوميين والمنظمات القومية فابتدرته قائلا :

ــ بالله دكتور صادق اشتعرف عني من كنت بالكلية الطبية ؟

واذا بكمال عمر نظمي يدير وجهه نحوي ويبصق علي :

ــ ولك انجب !

ثم اصدر امره (السلطاني) الى الجنود الملتفين حولي كالكلاب السائبة :

ــ سكتوه ، ودوسوا على حلقه بالقندرة .

وفعلا اصابتني ثلاث او اربع عصي مع حفنة من الكلمات الوقحة وهز احدهم رأسه بحقد ولؤم :

ــ **ولك انت دتموت ولسانك يلعب ؟!**

وسمعت الدكتور صادق يتكلم ، والحق يقال انه كان مرتبكا خائرا جدا ويحرك يديه بصورة مضطربة وتناهى الى اذني كلمات واضحة نسبيا :

ــ والله انا اعرفه فمذ كان بالكلية وهو يساري متطرف ورئيس اتحاد الطلبة وهو يمثل طلاب الصف الخامس والسادس .

فأسكته القانوني كمال :

ــ احنا ما علينا بالتاريخ القديم !! نريد هسة من جان يشتغل بالمستشفى بعد الثورة .

ولم استطع ان افهم كلام صادق بعد هذا حيث طلبوا منه ان يتكلم بصوت خافت ودفع احد الجنود وجهي بحذائه لاستدير الى الجهة الثانية وتكلم حوالي الست دقائق ثم اخـذوه بعـدها خارج الغرفة واتجه كما عمر نظمي نحوي :

ــ سمعت ؟ سمعت شهادة صادق عليك ؟ واكو ثلاثين طبيب كلهم شهدوا عليك وانت لسه متعنت مراح تقر ! .

ولذت بالصمت العميق ولم انبس ببنت شفة !!

وهز كمال رأسه مستهزئا وهو يوجه كلامي الى جماعته :

ــ يظهر الدكتور (قالها بسخرية) لسه ما ديحس ويعتقد هذا نوع من الصلابة والشجاعة !

فاجابه فريد :

ــ وين يروح ؟ يبقى نبسط بيه الى ان يموت وبعدين مـن هنا نذبه بالشط لو باجر انسلمه للشارع ويسحلوه !

كان فريد وكمال يتحاوران بتشف وتعالى بينمـا انهالت علي العصي من الباقين من جميع الجهات وأنا لا أستطيع من الحركة والتقلب ولا الاستغاثة قد قلبت وجهي على الارض فكان الضرب يتناول اجزاء جسمي جميعا من اخمص القدمين حتى الرأس وبعد ضرب قاس دام بين خمس وعشر دقائق ثم انهاها احدهم برفسة قلبتني بحيث اصبح وجهي الى الاعلى واذا الشخص الذي تشفع للدكتور صادق علوش والذي لم اعرف رتبته العسـكرية • حيث كـان قـد رمى السترة العسكرية الشتوية ليكون اخف وانشط في رياضته العنيفة هذهوامرهم بالكف عن الضرب وقابلني وجها لوجه وهو يوجه لي هذا السؤال :

ــ زين الجماعة يسألوك اسئلة ليش ما تجاوبهم عليها ؟

ــ والله آني اجاوبهم بصراحة وصدق •

وهنا اشتاط غضبا :

ـــ «نعل أبوك لابو (...) هو هذا الصدق الذي تدعون به ؟ أنذال جبناء سفلة خونة .

وغيرها من الكلمات التي تدل على مستواه الخلقي ومنبعه الاصلي وانا ساكت وحتى ان دماغي فرغ من كل فكر ولم يعد قابلا للعمل او التفكير سوى النظر بين هؤلاء الوجوه المتوحشــة المتعطشة للبقية الباقية من حياتي واذا به يعيد السؤال وكأنه تذكر شيئا مهما :

ـــ زين انت سامع بـ : سعيد مطر ؟

واعتقدت بانه اسم من الاسماء الكثيرة التي سألوني عنها وحاولت ان اتذكر او ان اردد هذا الاسم بين شفتي او مجرد ان احاول ان اقضي الوقت وبعد ان عجزت عن كل شيء اجبته بصوت خافت :

ـــ لا والله ما سمعان به .

فأجابني والانتصار باد على محياه :

ـــ زين راح اشوفك بسطة !!!

قالها بنوع من الغطرسة وكف اردان ثوبه الى الاعلى ولفهـــا لفتين او ثلاث ثم اندفع الى محل كومة العصي مسرعا وعاد يحمـل عصا ـ بل استغفر الله ـ انها هراوة يزيد قطرها على ثلاث انجات ووقف قبالتي مستعدا للنزال وانا انظر اليه (واحلف بالله انني لـم اصدق انه سيضربني بهذه الهراوة) وهل سيكتب لي الحياة بعد ان اضرب بهذه العصا ؟ ولم يدعني اطيل النظر او التفكير فسرعان مـا رفعها الى الاعلى ولوح بها في الهواء بكلتا يديه نعم اقسم بالله رفعها بكلتا يديه ثم هوى بها بكل قوته واصابتني الضربة على كتفي الايمـــن وشعرت بان كتفي الايمن قد انفصل عن جسمي وحاولت بصورة لا شعورية ان ارده الى مكانه بيدي اليسر وملت عليه ولكن في هـذه

اللحظة جاءتني ضربة اخرى اقوى من سابقتها على جنبي الايسر وعلى الاضلاع السادس والسابع والثامن وممتدة مع عظم القص الى الخلف ووعيت نفسي بعدها لحظات قليلة حيث تحول كل ما في الغرفة الى اشباح صفراء وامواج متضاربة ومن ثم فقدت وعيي نهائيا ولم استطع ان اسمع صوتا او احس بعدها بألم وفي غيبوبتي هذه لا ادرى ان استمروا في ضربي او سحلي في عرض الغرفة وبعد فترة لا اعرف مدتها شعرت بان جسما ثقيلا يضغط على رأسي ويكاد ان يمزقه ولم احس بألم او استطع ان اميز نوع هذا الثقل او الضغط المتواصل ولكن استطعت تدريجيا ان اسمع صوتا يصرخ بي ويلح بشدة رغم الثقل المسلط على رأسي :

ــ ولك احجي ترى اكسر راسك ! ... احجي عاد لتحاول تخدعنا وتقشمرنا .. ترى بالقندرة امرد رأسك لو تتكلم .. !!

استطعت ان اميز ان احدا يضغط على رأسي بحذائه بشدة وبعد فترة عرفت ان هذا الشخص هو فريد الصفار وحاولت ان احرك رأسي فلم استطع لشدة الضغط المسلط عليه من هذا الشعوبي اللعين .

تأوهت وتأوهت حتى شعرت بأن الثقل قد انزاح عن رأسي او هكذا استطعت ان اميز كذلك الصوت الذي كان يزعق في اذني قد انقطع وانه طبعا ليس نتيجة رافة او رحمة من فريد الصفار الذي لا يملك بشخصه التافه ولا بنسبه الاعجمي مما يسمى رحمة او خلق او نبل او شهامة وانما هو قد صب من معدن اللؤم والخسة والاجرام وهل هناك خسة وحقارة اكثر من هذه التي جربها معي ومع غيري من المتهمين .

اجل لقد وعيت ان نباحه قد انقطع تماما كما رفع رجله من فوق رأسي وما ان فتحت عيني وسحبت نفسا عميقا اخرجتها زفرة

متأوه حتى سمعت صوتا يصيح :

ـــ اسحلوه بره !

واذا بجندي طويل القامة عريض المنكبين ضخم الجثة يمسك برباط عنقي ويسحبني بعنف الى الخارج ، وشعرت بضيق في نفسي وبدأ الرباط يضغط على عنقي كلما اوغلوا في السحل وقبل ان اصل باب الغرفة انقطع الرباط وتنفست الصعداء وشعرت بنوع من الارتياح لا بل شعرت بأن الله معي والا من يتصور ان الرباط ينقطع بهذه السرعة وعلى ذكر ايماني بالله في تلك الساعات القاسية فليجرب اي شخص ان يقطع بيده ربطة عنقه فهل يستطيع بهذه السرعة ؟ فكيف اذا كانت الربطة في عنقي وانا محطم الجسد والقضية قضية سحل ايضا ؟ الا فانني امنت بان الله ارحم الراحمين ..

ما ان انقطعت الربطة حتى اشار اليه اخر بسحلي من السترة باجابة اخر بصوت اشد :

ـــ لا اسحله من شعر راسه ، من شعر راسه وذبه بالغرفة اليسرى .

وهكذا امسكوا بشعر رأسي واتموا عملية سحلي الى الغرفة الجانبية واقول الحق انني لم اشعر بألم عندما سحلوني من شعر رأسي اما السبب فهذا ما لا اعرفه ابدا .

ادخلوني على هذه الحالة ورموني ارضا وبجانب جثة هامدة بالذات ايضا يصدر منها صوت خافت وتأوهات واهية ولم يبعد عني اكثر من قدم واحد .

ومن ثم اقفلوا الباب وخرجوا لينصرفوا الى ضيف جديد آخر !.

بدت الغرفة مظلمة او هكذا ترآت لي عندما فكوا شعر رأسي

وتركوني اسقط على الارض وكنت اردد عبارات الاستغاثة وطلب الماء وغيرها من العبارات اللاشعورية وبعض الجمل التمويهية مثل :

ــ ياناس والله ما اعرف احمد (ابو الجبن) •• بس قولوا لي من هو احمد (ابو الجبن) •• جيبوه حتى اشوفه الاحمد (ابو الجبن) •• حتى اعرفه الاحمد (ابو الجبن) •

واستطعت ان اميز خلال الضياء الباهت بان هناك اناسا في الغرفة قد صفوا بمحاذات الجدران ووجوهم تقابل الجدران وكل واحد منهم يقف على رجل واحدة استعدادا للرياضة التي سيلقونها بعد حين وبدت كلمات وهمهمة من احد الواقفين ولم ادرك معناها ولم استطع ان اميزها ولكنها مجرد همسات فوجهت كلامي نحوه :

ــ دخيل الله انت احمد ابو الجبن ؟؟

واقسم اني لم ار وجهه او اعرفه ولكنه مجرد شبح يقف ووجهه الى الحائط فاجابني الشبح بصوت واضح والاسى يمزج كلماته :

ــ لا لا •• آني مو احمد ابو الجبن •

ــ آخ • آخ •• دخيل الله بس من هو احمد ابو الجبن ؟

هؤلاء الظلام قلت لهم ، والله ما اعرفه •• ولكنهم الظلام •• آخ •• آخ دخيل الله شوية ماي •• ماي راح اموت بس شوية ماي ••••

وعلا انين يتجاوب مع انيني وتأوهات مألوم يئن من اثر التعذيب المفزع وكان مصدر الانين الجثة التي كانت ترقد بجانبي بدأ يطلب الماء معي ايضا •• يالنغم الانين عندما يمتزج ويخرج من افواه متعددة انه لابد ان يكون اقرب الاصوات الى الله وان الله سميع مجيب •• فما كان من احد الاخوان النبلاء الا وتتغلب شهامته على

مصيبته وتتغلب بطولته وانسانيته على ما هو فيه من انتظار لنفس المصير الذي صرت انا اليه واذا به يقول مناديا الجنود :

ــ ابو خليل ! انت موبشر ؟ خطية دتشوفهم يريدون شوية مـاي ....

واحسست بان أحد الجنود يفتح الباب ويخرج ويعود بعد لحظات وبيده كأس ماء وحاولوا ان يشربوني فلم استطع بل اشرت الى جاري الطريح الممدد وقلت لهم :

ــ اسقوه اولا فانه اكثر عطشا مني .. وكان هنا قبلي !

وجاءوا بكأس ثان وتعاون جنديان لرفع رأسي واسقياني الماء .. يالله ! انهما من نفس الجنود الذين اشتركوا في ضربي قبل ساعات .. الا ما ارحم الانسان وما اقساه ! .. انه يقتلك ثم يعطف عليك فيدفنك ! .. انه يجرحك ثم يأتي ليداوي جرحك ! انه يعذبك بوحشية وضراوة ثم لم يلبث ان يسقيك الماء بعناية وحنو وتؤدة !!! .

وطلب الممدد بجواري المزيد من الماء وطلبت انا الاخر المزيد من الماء ايضا ولا اعتقد اني سارتوي لو سلطوا علي نهر دجلة في تلك اللحظات .. وبينما انا اشرب الماء للمرة الثانية واذا الباب يفتح ويدخل الكلب المكلوب فريد الصفار ويصرخ بالجنود مهددا معربدا :

ــ ولكم اشدتسوون ؟ تنطوهم ماي ؟ !!! انطوهم (سم) ! وخلهم يموتون هالشكل وباجر راح نسحلهم .

كان يحمل عصاه بيده ملوحا بها في الفضاء وهو يصرخ ويتوعد فساد الغرفة سكوت شامل كصمت القبور وشعرت في هذه الاثناء بان سائلا لزجا جدا يتجمع تحت قدمي ولم اعرف مصدره واعتقدت بان ماء سكب تحتها وفي هذه الاثناء انتابتني رجفة شديدة هزت جسمي هزات قوية متتالية كادت تزهق اخر ما تبقى عندي من انفاس واخذت

هذه الرجفات تشتد فما كان مني الا ان اطلب من احد الجنود الواقفين على الباب :

ــ رجاء واحد يسد الباب .

وما ان سمع الوحش فريد هذا الكلام حتى انفعل وهاج كمن اصابه مس من الجنون او لدغته افعى خبيثة وقد كان واقفا بجوار الباب وعلى وشك ان يغادر الغرفة ولكن عاد الى الغرفة داخلا وهو يزبد ويرعد :

ــ ها ؟ يسدون الباب !!

واصدر امره القاسي :

ــ يالله .. افتحوا الصفحة الثانية من الباب .. افتحوا الشبابيك ، كل الشبابيك ..!!

واشتدت التيارات الباردة لا سيما وكنا في اواخر شهر آذار والغرفة تطل على نهر دجلة فهبت النسمات باردة قارصة تحمل لي بين طياتها الموت الزؤام وقد ايقنت بالنهاية ان اشتدت نوبات الرجفات التي استمرت تنتابني بسرعة .

ولكن بقي شيء واحد لا يزال غامضا بالنسبة لي واتسائل عنه وهو لماذا لم يأمر فريد بفتح المروحة السقفية فوقي فيعجل موتي بتيارها البارد مع العلم انه كان يستطيع ان يعمل ذلك وهو الآمر الناهي في تلك الفترة المظلمة وتدين له كل هذه الكائنات من جنود وخدم في محكمة الشعب بالاضافة الى الهراوات والعصي والابواب والشبابيك ايضا .. !! ولو فتح المروحة لتحقق حلمه بتحويلي الى جثة هامدة مجففة بسرعة ولاستطاع بسهولة ان يسلمني في اليوم التالى الى فرقة السحالة لتجر جسمي في الشوارع ولاشبع رغبته بذلك

واريح نفسه العليلة الحاقدة على الضباط الاحرار ..

وخرج ذلك الكائن المتوحش وترك الجنود على الباب وبدأت ارتاح لوقوف الجنود على الباب حتى تخف وطأة تيار الهواء علي او بالاحرى على ذلك الجسم المهشم المطروح وسط الغرفة وسمعت احد الاخوان من ذوي الضمائر الحية من (المتآمرين) الابطال الذين وقفوا في وجه التيار الشعوبي الفوضوي اجل تقدم احد الاخوان مني بينما ترك وقوفه بجوار الحائط على رجل واحدة وكان بعمله هذا وقد تحدى التعذيب وتحدى الارهاب وتحدى الاهانة بل تحدى الموت الزؤام بكل معنى الكلمة وهو في هذا المأزق وهذا الضيق العسير فطلب من احد الجنود الذي كان ينام في اسفل الغرفة ومهمته مراقبة الواقفين على رجل واحدة من ان ينزلوا ارجلهم على الارض اقول طلب منه بطانية فما كان من الجندي الشهم النبيل الا وهزته نخوته العربية الاصيلة فقام من مكانه وحمل بطانيته بيده وتعاون معه اثنان من رفاقه وقد اثاروا كل آلامي من جديدة عند تقليب جسمي للفه بالبطانية واذا باحد الجنود يصيح :

ـــ لا ، لا تجيب البطانية على رجليه لان الدم ينزف منها !

وتيقنت أنذاك ان السائل الذي تجمع تحت اقدامي لم يكن ماء وانما كان دم ينزف من رجلي وشعرت ببعض الدفء بعد لفي بالبطانية رغم انني كنت اشعر بضعف متزايد لم يمكنني حتى ان اتألم وفي هذه الاثناء تقدم مني احد الاخوان الواقفين بجانب الحائط ولم استطع ان اميزه طبعا ونظر الى اصابعي وصاح بصوت خافت يخنقه الالم والتوجع :

ـــ هاي اظافره مشلوعة !

(وقد عرفته فيما بعد انه الاخ الرئيس علي عريم) حيث بدأ بتضميدي رغم ان عمله هذا يعد مجازفة واية مجازفة ؟ متآمر مثلي ؟ وينتظر دوره ليأخذ نصيبه من العصي والهراوات ؟ ويترك محله ويأتي الي ثم لم يكتف بذلك بل يريد قطع النزيف الذي كان يسيل من القدمين ؟ وهكذا تحدى الرئيس البطل علي عريم كل الشرور التي قد تتأتى له بسبب عمله هذا اضافة الى تهمه الكثيرة ! ضد الشعوبيين العملاء واوحدهم اللئيم وفتش جيوب السترة ووجد منديلين ولف بكل منديل اضافر قدم ثم سمعته ينادي الاخوان الباقين :

— ماكو جفافي اكبر ؟؟ هذا الدم مادينقطع ؟

وهكذا حاول شدها جهد الامكان ومن ثم ذهب ووقف مع الاخوان الآخرين (المتآمرين) وادار وجهه الى الحائط كما كان في اول الامر وعندما استقر مع جماعته سمعت همهمة منه او من الاخوان الاخرين همسات خافتة :ـ

— هذا دكتور خطية شمسوي ؟ هيج امسوين بيه ؟
— زين بس آني وانت شمسوين ؟
— لا حول ولا قوة الا بالله العظيم !!!

وفي هذه الاثناء الذي استأنست بهذا الكلام وغيره الصادر من اخوان لي في المبدأ والدين والعقيدة بدأت اجيل النظر في ارجاء الغرفة وسرعان ما اصطدمت عيناي بمرأى الرئيس الطبيب صادق علوش على بعد خطوات مني وهو بادي الضعف وضع احدى يديه على ذقنه ليسند رأسه الذي يبدو عليه انه اضعف من ان يسند نفسه بنفسه اما اليد الاخرى فقد وضعها على صدره واسند اليها اليد الاخرى من المرفق وكان الخوف والقلق بادين على كل جزء من

جسمه بوقفته وارتباكه ووجهه الذي علاه الاصفرار ونظراته الخافتة المستسلمة رغم انه بكامل هندامه ولم يبد عليه انه اهين او ضرب طيلة هذه المدة .. وهنا اشفقت على هذا المسكين الذي لا ادري ماذا شهد علي طيلة خمس دقائق وعلى مقربة مني اما في غيبتي فتقدير ذلك له وحده واشفقت على هذا المسكين اكثر عندما اكتشفت انه كان يقف بجواري ويعرفني حق المعرفة .. واين واجبه الانساني كطبيب ؟ الم يكن من الاحرى به وهو الطبيب ان يتقدم ويضمد جروحي وهو اعرف بتضميد الجراح بدلا من اي شخص غيره يجهل القواعد الطبية ؟ ربما يقول ان الموقف كان عسيرا !! فكيف اذن تحدى الموقف العسير الضابط الشجاع علي عريم وضمد جروحي بلمح البصر ورجع الى محله كأن لم يعمل شيئا ؟!!! اليس في مثل هذه المواقف تختبر معادن الرجال ؟ الحقيقة انني سامحت واشفقت بوقتها على الزميل الطبيب صادق لانه كان اضعف من ان يستطيع ذلك .

بعد هذه الدقائق القليلة التي ساد فيها الغرفة هدوء وسكون دخل المجرمان فريد الصفار وعطشان ضيئول معا واذا بفريد يقرأ فوق رأسي :

ـــ بعد وين ؟ هاي زلاطة .. لكن ارتاح ارتاح شوية حتى اندخلك للجولة الثانية !!

واعقبها برفستين او ثلاثة اما عطشان ضيئول فقد اكتفى بأن بصق فوقي !

وسمعتهما يختاران احد الواقفين !

ـــ تعال انت الآخر !

وتبعهما الى غرفة التحقيق حيث الضرب والتعذيب وساد الغرفة سكون شامل انه سكون الموت الذي يرفرف على رؤوس هؤلاء الابطال

وكل ينتظر دوره في طريقه الى الضرب والتكسير والتحطيم وبدد هذا السكون احد الاخوان الواقفين على رجل واحدة بصوت مسموع :

ــ هسه لو يأخذون الجماعة الفد مستشفى ؟ لان هذولة اذا بقوا هالشكل راح يموتون .. لان النزيف مد ينقطع !

لا زالت الرجفات تعاودني بين الحين والحين وان كانت اخف من السابق الا ان تسلسل تفكيري بدأ يتصدع والا فما معنى هذا التهديد الجديد ؟ وهل حقا سينفذون كلامهم بارجاعي مرة اخرى الى حلبة الفلقة ؟ وهل ستبقى بقية من عظامي ؟ ام انهم قرروا بالاجهاز على انفاسي وانهاء حياتي بعد ان لم يأخذوا مني قلامة ظفر مما كانوا يبتغون فاللحم مني قد تهرأ والعظام تكسرت ، والاظافر قلعت ، والساعة من معصمي في ارجاء الغرفة تناثرت وربطة عنقي تقطعت هذا بالاضافة الى ان عصيهم تكسرت ، وهراواتهم قد كلت ، وحبالهم وهنت ، وعضلات ايديهم تعبت ومهمتهم بأخذ الاعتراف مني خابت !!!

اجل لم تمهلني الاوجاع لحظات حتى تعاود من جديد فكنت اشعر وكأن سكينا حادة او دبابيس مدببة تغرس في كل شبر من جسمي وكنت اتوه واتألم مرة بصمت رهيب وتارة تخرج كلمات متقطعة فائرة :

ــ آخخ ... افف .. آخخ .. آخخخ ..

وكانت معظم الكلمات تموت تحت لساني وفي هذه الاثناء سمعت صوتا وضوضاء في الممر ودخل داود خماس وبعض الجنود فاشار الى الجنود :

ــ اخذوا هذولة الممددين للمعتقل .

وسأله احد الجنود :

ــ سيدي المعتقل الدبابات لو ابو غريب ؟

ـــ لا ابو غريب .

وجمعت قواي واستطعت ان اسمع لساني يقول :

ـــ راح نموت ، دخيل الله ودونا الفـد مستشفى حتى ينقطع النزيف .. وبعدين ودونا للمعتقل !!

واذا بداود خماس يجيبني مستهزئا :

ـــ راح تموت ها ؟ لما تتآمر ما تعرف راح تموت !

ثم توجه الى الجنود وقد نفد صبره :

ـــ يالله ودوهم !!

ومن ثم ترك الغرفة وولى .

جاء الي الجنود وحاولوا ان يوقفوني حتى ينزلوني الى الطابق الاسفل من محكمة الشعب وعبثا حاولوا ذلك حيث كنت مسجى على الارض لم استطع ان ابد اية حركة ما عدا نفسي الواهن الذي كان يذهب ويجيء ببطيء وفتور وهو يحمل بين ذراته بقية من حياة ..

وخرج الجنود الى الباب وهم يخاطبون احد الضباط :

ـــ سيدى هذولة ما راح يقدرون يمشون .. نريد نقـالات حتى انشيلهم بيها !

واذا بصوت فريد الصفار البشع يعوي :

ـــ عدنا نقالات حتى نشيلهم .. يستاهلون جنايز احسن ، يالله ! اللي ما يقدر يمشي اسحلوه لي جوه .. !!

كان صوت الملازم الاول الطيار فريد الصفار يشق اذني ويهز جسمي بعنف لان كلامه هذا يحمل لي بين طياته الموت الاكيد وقد تفتحت نفسيته بامر سحلي من الطابق العلوي من (محكمة الشعب) الى الشارع حيث احشر بالسيارة طيا او ميتا ، لا يهمه هذا وانما المهم هو ان يزيد من تعذيبي بعد ان حطمني وهشم عظامي الى ابعد حدود

التعذيب ولو كان في النهاية موتي ..

لعمري لم اسمع قط ان ضابطا هتلرياً عذب مثل هذه الصورة الوحشية وبمنتهى هذه الفظاعة اسيرا من اسرى العدو ولم اسمع عن الصهاينة بانهم سحلوا طبيبا عربيا من شعر رأسه من الطابق العلوي وقــذفه الى الشــارع .. وبمـثل هــذه الطـريقة البشــعة ؟ هـذا ما لا ترضى عنـه قوانــين البشــرية جمعـاء فكـيف رضي بذلك الملازم الاول الطيار فريد الصفار ؟ بالحقيقة لا تهمني نفسية هذا الرجل بعدما امتحنته امتحانا عسيرا في تلك الساعات المريرة ولـكن الذي يهمني انه ضابط في الجيش العراقي والمفروض في كل ضابط ان يتحلى بالشجاعة والشهامة والنخوة والاخلاق الرفيعة فاين هذه الصفات من ضابطنا الخنيث وهو يحمل عصاه ليكسر عظامي .. انـا المتهم البرىء .. اقول الحقيقة اني بدأت اخجل من نفسي كضابط عندما تأكدت ولمست ان الجيش العراقي يضم تحت لوائه من امثال هذا الضابط الرعديد ..

عاد الجنود وهم يتناقشون فيما بينهم :

ـــ اشلون نسحلهم للاسفل ؟ يعني الواحد منهم اذا مو ميت راح يموت ويتكسر راسه بالدرج !!

ـــ زين اشراح نسوي بس ؟

واذا باحد الجنود يقترح اقتراحه التأريخي الذ يحفظ لنـا الحياة في آخر لحظاتها :

ـــ خطية هذولة مو بشر مثلنا ؟ ومنو يكول كلهم مجرمين ؟ ومتآمرين !؟ والله اني راح اشيلهم وانزلهم واحد وراء واحد .

هكذا نطق لسان الجندي حسن عبدالامير (وقد عرفت اسمه فيما بعد) او هكذا ثارت نفس الجندي حسن عبدالامير وانتصرت للفضيلة بعد ان اوشكت المسالك ان تسد بوجهها الابواب فمرحى لك ايها الاخ الجندي النبيل حسن عبدالامير لا لا نك انقذتني من موت محقق بل لانك خاطرت بنفسك وعرضت نفسك للقتل في ظلمة الليل . ولكني اقول مرحى للانسانية لانها بخير ما دام فيها اناس مثلك شرفاء يقطر النبل من نفوسهم السامية فيقدمون على عمل يعتقدون فيه الخير رغم ان الخطر محدق بهم وانني في الحقيقة اهنىء الجيش العراقي ما دام فيه جنود يتحلون بشجاعة حسن عبدالامير وعندما يلاقون الحقيقة وجها لوجه فيندفعون في سبيل نصرتها .

دخل الجندي السائق حسن عبدالامير بعد ان تأكد ان الكلاب ذهبت لتقضي وطرا مع فريسة جديدة ثم اقترب مني وتبعه جنديان حيث توليا رفعي ووضعي على ظهر الجندي الشهم حسن ..

كانت عظامي تصيح بصوت اخرس مكبوت وعضلات جسمي ترتعش من الالم عندما حركوا جسمي ولكن لم تكن لدي القدرة لاتألم او اصرخ او اوتأه بل رضيت بما انا فيه وانا اقول :

ـــ رب هذا اخف علي من ان اسحل من هذا الطابق العلوي الى الشارع ..

ولكن لم تكن لي القدرة ان اثبت نفسي او امسك بصاحبي حيث رحت اترنح ذات اليمين وذات الشمال وقد امسك حسن بياخة السترة وصرت كأني كيس من اللحم والعظم وقد تداخل بعضها في البعض الاخر ويداي متدليتان الى الاسفل وقطع الطريق المؤدي من الغرفة والسلم وهو يسير متئداً متحملا ثقلي وترنحي واضافة الى ذلك

سألني بحنو فائض :

ـــ هل انت مرتاح ام متأذي بهذه الوضعية ؟!

ولم ازد ان قلت :

ـــ شكرا لك يا أخي !!!

ولا ادري هل يعلم الاخ حسن عبدالامير ان هذه الكلمات تحمل معنى اكثر مما يحمل مجلد ضخم في مثل هذه المناسبة ؟ وهل يعلم ان هذه الجملة القصيرة طبعت في دماغي وهي تحمل له الشكر والعرفان بالجميل وسوف لن يمحوها الزمن مطلقا ؟؟

وفي هذه الاثناء بدأ ينزل السلم وهو يمسك بيده اليمنى المسند الخشبي للسلم وباليد اليسرى لا يزال ماسكا بتلابيب سترتي وكانت قدماي تصطدمان بدرجات السلم مما يزيد آلامي وتجدد الاوجاع والنزيف من جديد ولكن هل كان هذا ذا اهمية بالنسبة لي ؟ اقسم بربي انه لم يكن ذا حساب عندي في تلك اللحظات بل انحصر تفكيري بعائلتي رغم انني لم تغب عن بالي طيلة الساعات الماضيات فها هي تجتمع في فناء البهو حول المدفأة وحرارتها المنعشة المثيرة للنعاس في تلك الساعة .. فها هما شقيقتاي وهما تقرآن وتراجعان الدروس وشقيقي وهو يدفن رأسه في مجلة ادبية او كتاب حديث .. واخيرا والدتي .. ماذا قالت في هذه الساعة المتأخرة من الليل ؟ .. ماذا قال الجميع ؟ وبم الآن يفكرون ؟ .

ولا اعرف كيف طفرت الى مخيلتي فتصورت والدتي واقفة على عتبة الدار وقد انارت المصابيح كأنها تنير الطريق لفلذة كبدها الصغير لتستقبله وهي ذاهلة .. تصورتها على عتبة الدار والدمع ينهمر من عينيها وبجانبها أو في رأس الشارع على اقوى الاحتمال وقف شقيقي حائرا ماذا يعمل ومتسائلا اين يذهب .. وعند الباب وقفت شقيقتاي

وهما قلقتان على مصير اخيهما الذي لم يعد حتى هذه الساعة المتأخرة من الليل ..

تصورت العائلة في وضعيات مختلفة وعلى اشكال متعددة ومتداخلة مع ان هذه التصورات كانت غارقة في بحار متدافعة من الضباب وقد تألمت كثيرا وانا اتصورهم على هذه الحال .. اجل تألمت لاجل تألمهم لا لالمي الذي كان يدق جسمي دقا قاسيا .

٤

رقصة الموت

ما ان نزل بي الجندي الشهم حسن عبدالامير آخر درجة من السلم واشرف على الباب الخارجي لمحكمة الشعب وهو يسرع الخطى حتى غمرتني نسمات باردة ارتعدت من اثرها جميع اوصالي وكان يحيط بي ثلاثة او اربعة جنود وهم يحملون الرشاشات والمسدسات وهم على اهبة الاستعداد لكل طارىء !! ورغم ان الساحة أمام بناية المحكمة كانت مليئة بالسيارات الا انهم رموني بالقسم الخلفي بسيارة من نوع (لاندروفر) وكانت قصيرة بالنسبة لطولي مما جعل ساقاي تتدليان الى الاسفل فما كان من احد الجنود الكرام النفوس الا وتقدم لتعديل الباب الخلفي حيث صار مسندا مريحا لقدمي رغم انني شعرت من ناحية اخرى تحت اكتافي قطعة صلبة تكاد تمزق عضلات جسمي ولما لم تكن لي القدرة على تحويلها او تحويل جسمي عنها اضفتها الى الآلام الاخرى ..

في هذه اللحظات بدأت اشعر بالبرودة تزداد عندي باطراد مع شعور متزايد بالعطش والغثيان اما الاوجاع المبرحة فكانت تتعالى من مناطق مختلفة من جسمي فمرة من اصابعي وتارة من اكتافي ورأسي واخرى من يدي ومع هذا لا استطيع ان ارى الجنود بوضوح وانما مجرد اشباح تتراقص تحت الضوء الخافت في بحر هذا الليل العميق ..

في هذه الاثناء وصل الاخ الدكتور عادل البكري محمولا على

الاكتاف ايضا ورموه بجانبي واذا به جثة هامدة لا صوت ولا حركة ولكن الذي طمأنني على بقية حياته انه ما ان استلقى بجانبي حتى شاركني التأوه والزفير اللاهب حيث كان احدنا يؤنس الاخر بالانين والتنفس العميق ويشجعه على التمسك باهداب الحياة الى آخر نفس رغم اننا لم نتعارف قبل هذا اللقاء التأريخي الخطير ..

بدأ الجنود يصعدون الى السيارة لحراستنا خوف الهروب نعم خوفاً من ان نهرب عن وجه العدالة !! ولا ادري ما الذي منعهم من وضع الحديد في ايدينا ؟ ربما السبب لعدم وجود الحديد الذي يتسع لايدينا التي تورمت واثختنها الجراح .

ولاول مرة اسمع الاخ الدكتور عادل ينطق بجانبي مستنجدا :

ــ ابوى .. ماكو فد اسبرو ؟ راسي راح ينفجر !

فما كان من احد الجنود الا ويجيبه بصوت استهزائي :

ــ قابل عدنا صيدلية .. هسه فد نصف ساعة وتوصل للمستشفى .

وطلب الجنود من السائق ان يسير الى معتقل ابي غريب وصدفة ينادي السائق الجنود :

ــ كاظم عندي (برتقالتين) وتفاحة بالصندوق جيبها نأخذها ويانا ..

وكنت في حالة من دوران واحاول التقيوء ولكن لا شيء في معدتي فصحت :

ــ دخيل الله اذا اكو فد برتقالة لان نفسي دتلعب ؟

واجابني نفس الصوت الذي اجاب الاخ عادل :

ــ قابل انت قاعد بحفلة ؟!

وهنا قفز السائق الشهم حسن عبدالامير والذي تتمثل فيه الشهامة

والغيرة بكل ما تحمل من معاني ودلائل حيث قفز من خلف عجلة القيادة وصاح بصوت عال وتحد ظاهر :

— اذا احد مراح يروح يجيب برتقال ، آني راح اجيب !!!

وغاب عنا حوالي الخمس دقائق وعاد بعدها ليقدم لنا التفــاح وهو يعتذر حيث اعطاها للجنود وذهب لعجلة القيادة وتحركت السيارة وكان يجلس معنا ثلاثة جنود مع اسلحتهم الاوتوماتيكية وآخر يجلس بجانب السائق فاعطوني تفاحة واخرى الى الدكتور عادل وحاولت ان امسكها بيدي ووضعتها على فمي واخذت منها مضغة صغيرة بين اسناني وبينما تحركت اسناني لمضغتها لم استطع ان امسك التفاحة اكثر من ذلك فسقطت من يدي ومعها سقطت يدي على صدري وعقبتها بعد ذلك بموجة قوية من القيء الشديد قذفت اولا قشر التفاحة ثم اعقبها سائل على جانبي فمي ووجهي سال بعدها على رقبتي .

كانت السيارة منطلقة بنا في شارع الرشيد وتنعطف الى شوارع بغداد الاخرى ثم تتجه الى شارع ابي غريب الطويل وكان تمايـل السيارة وعثراتها في الطريق تحرك عظامنا وتوقظ آلامنا وكان تأرجح السيارة يقذف بي الى عادل تارة ومرة يتدحرج هو الى جهتي ولـم يكن باستطاعته السيطرة على نفسه او اسنادها وانا لم استطع ان اسند نفسي او اسيطر عليها في السيارة ورغم هذا كانت تلك الحركة الخبيثة التي تنبعث من العجلة الاحتياطية بمقدمة السيارة امام رؤوسنا ومع هـذا لابد من اسـناد رأسي على اسـفلها وانا افكـر ماذا سيكون مصيرنا لو قدر لهذه العجلة الساكنة وهوت فوق رؤوسنا . ؟

ومن عجيب الصدف ان الاخ عادل كان يفكر نفس التفــكير ويحسب نفس الحساب كما اخبرني هو بذلك فيما بعد ..

شوارع بغداد خالية في مثل هذه الساعة المتأخرة من الليـل

ويلفها سكون شامل اشبه بسكون الاموات وقد توقفت السيارة عدة مرات في الطريق حيث يكون نفس الاستجواب بين نقاط حراسة (المقاومة الشعبية) .

ــ وين رايحين ؟

ويأتي من جنود السيارة نفس الجواب :

ــ هذولة خونة .. راح نوديهم للمعتقل !!

وشعرت ان السيارة تسرع بنا وقد خلفت وراءها بغداد نائمة يلفها ليل طويل !! ورغم انني لم استطع ان اميز شيئا في الطريق الكئيب حيث الظلام يحجب كل شيء الا انني احسست اننا في طريقنا الى جهة نائية خارج بغداد وبدأت من جديد اسأل نفسي بذهول :

ــ هل نام اهلي الآن ؟ مستحيل !! ولكن كيف يقضون هذه الساعات الثقيلة تمر وانا مجهول المكان بالنسبة لهم ؟ ساعدهم يارب ..! كن في عونهم يارب ..! افرجها علينا بالخير يارب !!!

رغم ان السيارة حثت السير اكثر من نصف ساعة الا انها توقفت أخيرا حيث همَّ الجنود بالنزول بخفة وهمهمة وفي نفس اللحظات انشق ظلام الليل عن كهوف مخيفة كثيرة حيث دفعت نحونا عدد كبير من الجنود وقد احاطوا بالسيارة بصورة عجيبة وهم يتنادون باصوات مخيفة مرعبة :

ــ هي .. هي !!

ــ ماكو مؤامرة تصير والحبال موجودة !!

ــ اسحلوهم !!

كانوا يتباشرون في بحر هذا الليل المظلم وهم يهرعون نحونا وكانت هذه الاصوات تتناهى الينا مرعبة منكرة وذهب احد الانضباط العسكري واوقظ المضمد الخفر « علوان » وصاح عليه اخر

بان يجلب سدية (نقالة) وفي هذه الاثناء كان البقية من الجنود المرافقين لنا قد اتموا سحبنا من السيارة سحلا ورمونا فوق الارض كيفما اتفق وكاننا اكياس من الطحين وشعرت بالتراب وحشائش الارض تلتصق مع جلد ظهري الممزق الذي يعلم الله وحده كم هي عدد العصي التي كسرها هذا الظهر الصلب بيد الشعوبيين العملاء !!

التصق جلد ظهري مع هذه الارض الرطبة لانحسار ملابسي الى اعلى الاكتاف نتيجة لسحلي من السيارة الى الارض فزاد هوس قشعريرتي الا ان الجنود الذين احاطوا بي انا والدكتور عادل ممدد بجانبي قد قلبوا لنا هذا الجو البارد الى نار ولهيب مفاجيء حيث بدأوا يرقصون حولنا رقصة العبيد رقصة آكلي لحوم البشر بل قل انها رقصة الموت وهم يتصايحون باصوات تشق سكون الليل وتختلط بهرج ومرج :

ــ انطونا اياهم نسحلهم !

ــ هذا احسن علاج !

ــ احسن من السدية احنه نسحلهم !

ــ اقتلوا الخونة !

ــ يعني بس بالموصل يسحلون ؟!

ــ هذولة الخونة ، يستاهلون !

ــ ماكو مؤامرة تصير .. ! هذا مصير الخونة ! ماكو مؤامرة تصير ... والحبال موجودة .

لا استطيع الآن ان اصف الشعور الذي انتابني في تلك الدقائق المفزعة الفاصلة مهما اوتيت من بلاغة ودقة تصوير حيث آمنت بالقضاء والقدر .. رغم انني تغلبت على الموت باعجوبة على ايدي الجلادين في محكمة الشعب . وقد رددت الشهادتين مع نفسي عدة مرات وقرأت

مما حفظته من آيات القرآن الكريم ومع هذا فلم تسعفني عيناي ان ارى اي شيء سوى الظلام اللامتناهي وقد تناثرت فيه بعض المصابيح الخافتة الضوء والاشباح تحيط بنا من كل جانب وكنت اتوقع بين لحظة واخرى بان حجرا سيهوى ليحطم رأسي او حذاء ثقيلا (سيدبك) على صدري فيقضي على آخر انفاسي .

وفي هذه الدقيقة وصل شخص مهم واعتقد الضابط الخفر حيث بدأ يوجه الاوامر العسكرية ولكن مع هذا خالطت اوامره اصوات الجنود وهي تطالب

— سيدي .. سيدي هذوله خونة طلقة طلقة وبعدين نسحلهم !!

وهنا لابد ان اشير باعجاب واعتراف بالجميل للجندي السائق حسن عبدالامير فبالاضافة الى مواقفه النبيلة السابقة فقد ابدى بطولة وبمنتهى الجرأة عندما ارادوا سحلنا فعلا حيث تصدى لهم معارضا :

— هذوله موبشر ؟ منو يقول كلهم (مجرمين) ودتشوفوهم ديموتون ! اشلون تسحلوهم ؟!

واذا باحد الجنود يصيح غاضبا :

— وانت ياهو مالتك ؟ يالله اركب بالسيارة وروح !! لو انت هم من نفس الطينة ؟!

واشتدت رقصة الموت وعلت بينهم همهمة وعواء الا ان الجندي حسن عبدالامير اسكتهم :

— انا واجبي إسلمهم بالمستشفى .

فطلب منه جندي آخر :

— زين خل نسحلهم الداخل المستشفى ؟

وجاء صوت من بعيد :

ــ لا لا ، عندنا نقالة وحدة •

وتلاشت الاصوات المنكرة تماما عندما اقترب مني المضمد وبعض حراس المستشفى من الجنود وما ابعد اسم المستشفى عن مدلوله حيث انه بعض الحجر ملحقة بمعتقل ابي غريب سمي بمستشفى ••

سمعت المضمد يشير الى الجنود :

ــ زين تعالوا خل انشيل هذا يبين فدنوب متأذي وراح يموت •

تعاون اربعة جنود او اكثر ورفعوني من ملابسي ووضعوني باناة في النقالة وتسائل احدهم :

ــ هَه ؟! رجليه تنزف دم وهاي الكاع كلها دم !!

وقد كان المضمد علوان ذا شعور انساني حقا حيث كان يطلب من الجنود الترفق وعدم تأذيتي في اثناء نقلي من الارض الى النقالة وكذلك من النقالة الى السرير ••

ورغم ما بذله من عناية واناة ولكن تقليبي ورفعي آثار جميع الالام والاوجاع ولم البث في مكاني عدة دقائق حتى اتو بالاخ عادل ووضعوه على سرير اخر بجانبي الايسر •

لم يكن في الردهة رغم أسرتها الخمسة سوى جندي واحد كان يغط في نوم هانيء عميق ولكن ما ان بدأ المضمد يضمد جراحنا وكثر الانين حيث اعتدل غاضبا وقد رمى البطانية جانبا بعنف ثم سدد الينا نظرات بليدة ولكنه تراجع بعد ان افزعه منظرنا الغريب فالتفت الى المضمد وكأنه يريد ان ينجو بنفسه :

ــ آني راح انام ابوحدتي احسن !!

وذهب ولم يعد •

اعلمني المضمد انه اعطاني زرقة مورفين ولا ادري هل اعطاني حقنة ضد الكزاز أو أي شيء آخر الا ان الذي اعرفه انني لم استطع

النوم طوال الليل بل كنت في غيبوبة خفيفة وربما تتقـــل في بعض الاحيان واشعر باحاسيس مختلفة فمرة تنتابني مجموعات كبيرة من الابر لتغرس في كل مكان من جسمي واحيانا احس وكأن سكاكـين حادة تقطع اوصالي متعاونة في كل مكان وهكذا يمر الوقت بتثاقـل مرير وكل ما كنت افعله واستطيعه ان اتنفس وازفر بعمق تلهب معها احشائي ويردد معي الزفير الدكتور عادل من جواري مرة ومرة وقد أخبرنا فيما بعد الاخوان الرئيس حافظ عبدالقادر والاخ الاستاذ أحمد حسين الربيعي انهما كانا يسمعان شدة زفيرنا وقوته رغم انهما كانا يناما بغرفة اخرى تبعد عن غرفتنا فبالاضافة الى آلامهما لم ندعهما يناما تلك الليلة لاننا كنا كما اخبرانا نزفر عاليا من شدة الالم حتى الصباح ...

٥
أيام ... لن انساها

الاثنين ٣٠-٣-١٩٥٩

هو أول يوم كنت فيه وراء القضبان في معتقل أبي غريب أو ربما يحلو لهم ان يسموه مستشفى معتقل ابي غريب مع انه بريء لكل ما يمت للمستشفيات بصلة . في حوالى السابعة من صباح هذا اليوم وانا لا زلت كل هذه الليلة وحتى هذه الساعة ولما يغمض لي جفن حيث نقلوا الى غرفتنا ثلاثة من زملائنا (المتآمرين على سلامة الجمهورية !) وقد ظهرت عليهم علامات الكسور والرضوض وتقليع الاظافر واضحة للعيان ! وضعوا الاخ الرئيس حافظ عبدالقادر بجانب الاخ عادل ورغم كسوره الا أنه يحتفظ بمعنوية رائعة وقد اعطتني نظرات عينيه الجريئتين لاول مرة عنه فكرة بان هذا الضابط له جرأة الاسد وصلابة الجندي الاصيل .

وبجانبه وضعوا جسما محطما تمام التحطيم وصاحبه في غيبوبة تامة انه الزعيم الركن الحاج محمود شيت خطاب .

اما في الطرف البعيد من الغرفة فكان السرير من حصة الاستاذ أحمد حسين الربيعي وانه كان يتمتع بصحة أحسن منا على كل حال رغم ان آثار الضرب والتعذيب لا زالت باقية واقول الحقيقة اننا كنا نحسده على وصوله مرحلة النقاهة قبلنا مع ان تحسن صحته ساعدتنا كثيرا لان قوته كان يستعملها في اجلاسنا او اتكائنا على طرف الوسادة !!

في الساعة الثامنة او ما يقرب من ذلك دخل غرفتنا المضمد

(حميد) واقبح به من مضمد لئيم او من شخص جمع الحقارة من اطرافها حيث كان ينقل طرفه بيننا متلذذا بما يراه وقد ارتاحت نفسه لمنظرنا واطمأنت وقد وقف ويده على اطراف سرير الزعيم الحاج محمود شيت يسترق السمع لنبض الحاج محمود وكأنه يريد ان يوقف آخر هذه النبضات الرتيبة حتى تكون نفسه الخسيسة اكثر بهجة وحبورا •

وفي هذه الاثناء دخل عريف مجروح اليد ووقف على بعد ياردة ونصف من سريري وعرفته حالا حيث كنت لا ازال افكر بالاهل وكيف هم الآن وانا مجهول المصير بالنسبة لهم ؟ واعتقدتها فرصة ذهبية لأخبره حتى يخبر الاهل بمكاني لاسيما وانه يعرفنا جيدا وانا اعرفه معرفة قوية حيث نشأنا في مدينة واحدة وهناك معرفة وثيقة بيننا وناديته باسمه وحاولت ان اصيح باقصى ما استطيع ولكنه لم يعرني أي اهتمام واعطيته كل الحق : الا يوجد جرح صغير في احدى اصابع يده ؟! نعم جرح صغير واحد في اصبع واحد فقط !! وناديته ثانية واستطعت ان اخرج صوتا اقوى من السابق وفعلا سمع صوتي ونظر اتجاهي وركز نظره في هذا المخلوق الذي يوشك ان يقضي عليه داؤه (داء الرجعية والتآمر على سلامة الجمهورية) واشاح وجهه حيث نظر ساعة يده وبعد طول نظر ادار وجهه حيث يقف المضمد وهو يقول :

ـــ حميد بلجي تضمد لي اصبعي •

معه حق فقد خرجت بضع قطرات حمراء قانية من جسمه وجاء يطلب الدواء فاعطيته الحق اذن عندما اشاح بوجهه عن هذه الدماء السوداء المتعفنة بمكروبات (التآمر) اما تلك الجروح المكشوفة والعظام المكسورة والاصابع المقلوعة والاظافر والتي ما انفكت تنزف الدماء فلا

يهم امرها لا المضمد (العفن حميد) ولا رؤساؤه الضباط والاطباء •

ومرة ثالثة ناديته ولمرتين متتاليتين :

ــ مالك ! مالك !

واجابه الاخ حافظ من مكانه :

ــ انت مو اسمك مالك ؟ مو الرجال ديصيحك ؟

واشار السيد مالك باصبعه السليم (طبعا) الى صدره !

ــ الي يصيحني ؟

وركز نظره هذه المرة كثيرا والى ان اجاب بخفوت :

ــ راجي ؟!

واجبته بصوت خافت بعد ان عرفت انه عرفني وقد تملكني سرور :

ــ بلي !

وحاولت ان اكمل •• ان اوصيه الى اهلي ليطمئنهم على مكاني ليس غير •• ولكن قبل ان اكمل كلمتي كان مالك قد اختفى من الغرفة دون ان يسمع ؟ وحتى انه لم يعالج اصبعه ؟!

وتركني اتسائل لماذا ؟! هل ان منظرنا المفزع اجفله ام ان عملنا (التآمري) اخجله ؟ ام هذا وذاك معا ! كانت الساعة التاسعة تماما عندما قدم الدكتور شاكر الجنابي لزيارتنا وهو المسؤول عن المستشفى وقد لاحظت عليه علائم التأثر • ولا اعرف هل كان مجرد تمثيل ام يرافقه شعور بذلك ؟ ولكن الذي قاله ان ادخالنا غير رسمي ولا توجد ورقة لارسالنا الى المستشفى وان هناك مسؤولية كبيرة وقال لي بالحرف الواحد :

ــ انت خو راجي دكتور وتعرف اذا صار قدر على واحد منكم هاي عليها مسؤولية كبيرة !!

كل ما استطعت أن اطلبه من الدكتور شاكر ان يخبر مدير الامور الطبية واذا امكن ان يخبر اهلي حتى يعرفوا مكاني .

اجل هناك مسؤولية او محتمل ان يموت اي واحد منا في اى لحظة كانت فانا نفسي استطيع ان انظر بالعين اليسرى فقط .. اما اليمنى فلا ارى فيها شيئا البتة .. ولا استطيع حراك اي عضو من جسمي سوى رأسي الذي كان بامكاني تحريكه ذات اليمين وذات الشمال واشتد القيء علي بعد ذلك والزعيم الحاج محمود شيت لا زال في غيبوبته العميقة والنفس يروح ويغدو بانتظام .

وباقي الاخوان ليسو باحسن حالا منا .

اشتد القيء علي بعد ذلك فكان يسيل من فمي على رقبتي ثم ينزل الى الوسادة والفراش مما حدا بالاخ الشجاع أحمد الربيعي الذي تشع منه الشمائل العربية ان يتحامل على نفسه ويتوكأ على حواف الاسرة ليساعدني في تنظيف فمي وازالة الاوساخ عن الوسادة ثم يجلس بجانبي يحدثني احاديث شتى مشجعة ومسلية وفي الوقت نفسه لا أدري هل كنت بحاجة الى التشجيع ؟ الذي اعتقدته : لا ! ولا ادري هل يؤيدني الاخ احمد لانه ادرى في تلك الساعات اللاهبات ؟! فرغم ان جسمي قد تحطم الا ان روحي بقيت صامدة الى النهاية .

الباب موصدة والحرس خلف الباب من الخارج شاهرا حربته استعدادا للطوارىء وخمسة من (المتآمرين) طريحوا الفراش بلا حراك (وقد اثبتت الاشعة بعد ذلك بان خمستنا مصابون بالكسور) .

الساعة الثانية عشرة تماما عندما جاء الدكتور شاكر الجنابي واخبرني بان مدير الامور الطبية الزعيم الطبيب محمد علي الامام لم يصدقه بان يكون راجي هو الموجود وطلب التأكد واخباره وسيزورنا

مساعد مدير الامور الطبية اليوم او غدا ..

مضى هذا النهار وانا اتقيأ باستمرار وخاصة بعد اخذ الدواء والماء وكنت اشرب الماء بصورة مفرطة الشيء الذي اتعب الاخ الوفي احمد الربيعي كثيرا ..

النزف لا يزال مستمرا بمحلات الاظافر المقلوعة والدماء تخترق اللفافات مما اضطرهم الى وضع قطعة من المطاط على الفراش رغم ما تناولته من ماء فلم استطع ان اتبول ذلك اليوم وهنا انتابتني الوساوس باني قد اصبت بخفقان عمل الكلى والذي يعقبه الموت لا محالة ..

وكذلك الدماء كانت تخرج ممزوجة مع القيء ونزف يخرج من فمي واتقيء باستمرار ..

في الساعة العاشرة مساء أخذت زرقة (بثدين) وحبتين (ليمونال) واربع حبات .A.P.C ورغم هذا لم انم هذه الليلة اكثر من ساعة او ساعتين متقطعة تشوبها الرؤيا المفزعة والرجفات المفاجئة .

الثلاثاء ٣١-٣-١٩٥٩ :

في صباح هذا اليوم زارنا الرئيس الاول الطبيب فوزي محمود وصفي مساعد مدير الامور الطبية وفحصنا وقلبنا واستطعت ان ارى على وجهه وفي عينيه حزنا عميقا مؤلما لما يراه امامه وكان يعظ على شفتيه في اثناء فحصنا وخرج بعدها وعلمنا انه قدم تقريرا مفصلا عن حالتنا وكان نتيجة كتابته التقرير ان نقلوه الى وحدة ميدان عسكرية في المسيب ، أليس هذا أحسن جزاء لمن يقول الحق ؟!

استطعت ان اتبول هذا الصباح بعد ان اخذت جرعتين مدررة في الليلة السابقة وقد اثاروا آلامي وحركوا جميع جروحي عندما اسندوني وانا في الفراش لاتبول في اناء نحاس وقد اصفرت الدنيا

في عيني ولولا كنت ممسكا من قبل خادم ومضمد لسقطت مغشيا علي ..
وقد تبولت ما يقرب من ١٠٠سم٣ اما كيف استطيع ان اصفه فهذا محال .. فلم يكن ادرارا بالمعنى الصحيح وانما كان دما جامدا يشبه القهوة المترسبة في قاع الفنجان .. قهوائي اللون بغمق وخرج بصورة كتل صلبة وحتى عندما استقر في قاع الاناء بقي محافظا على شكله وصلابته ولم ينتشر كما تفعل السوائل ..

حاول الاخ احمد ان يطعمني شيئا من البرتقال او اللالنكي هذا اليوم ولكن عبثا حاول ذلك حيث ما ان اضع شيئا في فمي الا وارميه مع ما تفرزه معدتي من سوائل بالاضافة الى ما يرافق ذلك من آلام تقطع الاحشاء .

في هذا اليوم ارتفعت عندي الحرارة الى ٣٨٫٥° واعتقدت انها تعود الى التهاب المجاري التنفسية ولم يترك زرق البنسلين اي اثر الا اللهم ما يتركه من نزف الدم في محلات الابر وما كان يحدثونه من آلام عند تقلبنا ليفتشوا عن محل لا توجد فيه كدمة او محل في الجلد يخلو من اللون الازرق الغامق حتى يزرقوا فيها الابر ولكن كانت مهمتهم هذه صعبة جدا حتى وان المضمد حميد ورغم ما يمتاز به من فضاضة وقساوة معنا طبعا ! سمعته يقول :

ـــ اذا هم مسويكم بختة .. اصلا محل چكت ابره ماكو غير الزراق !!

ومع هذا كانوا يزرقون الابر كيفما اتفق وعلى كل حال لم تكن آلامها الآن كالآلام السابقة .

في هذه الليلة لم استطع النوم الا بزرقة ابرة (كاردنال) ولكنه نوم متقطع وعلى ظهري او جهتي اليسرى وقد استطعت ان اعين الاخ احمد عندما حاول ان يقلبني اما صفحتي اليمنى فكانت الآلام تدق بمنطقة الاضلاع السادس والسابع والثامن .

الاربعاء ١-٤-١٩٥٩ :

لم يأت احد لمشاهدتنا لا من اطباء ولا من غيرهم ولكن في هذا اليوم ادخل لي احد الجنود المكلفين بحراستنا بجامة وخاولي وعرفت بجامتي رغم انهم لم يسمحوا باخباري من الذي جلب البيجامة وصار عندي بعض الاطمئنان من ان اهلي عرفوا الان محل اقامتي الجديد !! ولا ادري هل يعود الفضل للدكتور شاكر الجنابي المسؤول عن علاجنا حيث رجوته ان يخبر اهلي عن طريق تلفون احد الاصدقاء وقد وعدني بذلك ؟ أم ان أهلي قد بحثوا عني في جميع المعتقلات وانتهى بهم المطاف الى معتقل ابي غريب حيث كنت راقدا بين جدرانه المعتمة ؟..

لا زلت انام بكامل عدتي نفس القاط الازرق الذي كنت ارتديه عندما دعوني من العيادة (للشهادة) !! والذي امتزج الآن بالدماء الزكية الجامدة الممتزجة بالاتربة حيث تحول لونه الى بدلة قتال اصيلة !!

كانت الحمى قد خفت هذا الصباح ولكن عادت بعد الظهر وبصورة اعلى وابشع مما كانت عليه في اليوم السابق رغم ابر البنسلين وحبات A.P.C. ووصلت درجة الحرارة الى ٣٩٫٥° ورغم هذا فلا طبيب ولا مضمد ولا هم يحزنون !!

وفي هذا اليوم والذي سبقه .. وفي اثناء اشتداد الحمى كنت اشعر بعطش شديد فكل ليلة صرت اشرب (صراحية) كاملة من الماء وفي الصباح اشرب كأسين او ثلاثة من الماء قبل ان اتذوق اي شيء ..

بدأ اداري يأخذ بالازدياد وكذلك لونه تحول الى اصفر برتقالي ومن ثم الى اصفر فاتح ..

الخميس ٢-٤-١٩٥٩ :

كانت الساعة تشير الى الحادية عشرة صباحا عندما انفرج باب الغرفة ودخل الزعيم الطبيب محمد علي الامام وانا في وضع نصف اتكاءه على وسادتين ورقص قلبي فرحا وقد غمره الحبور وكدت لا اصدق عيني وهما تلتقيان بعيني استاذي الذي احترمته من اول ساعة اشتغلت فيها معه وقد اثبتت لي الايام ان هذا الانسان الكامل جدير بكل محبة واحترام •

بدأنا بتحية رقيقة كعادته وسألنا عن صحتنا وحاجتنا وبدأ من الاخ حافظ ثم جاء دوري واصر على فتح احدى اصابعي وشاهد بعينيه اظفر ابهام القدم الايسر المقلوع ثم فحص الكدمات على ظهري وارجلي وساعدي ولاحظ يدى المتورمتين وهز رأسه بتأثر بالغ وقد استطعت ان اقرأ علائم التألم بادية على كل تعبير من نظراته وحركاته •

حاولت ان اتفهم منه عن التهم التي سببت اعتقالي لانه رئيس دائرتي ولكنه اصر على تسجيل احتياجاتنا الطبية ووعدنا بتشكيل لجنة طبية للنظر في نقلنا الى مستشفى الرشيد العسكري وكذلك تعهد بارسال جهاز اشعة لتصوير كسورنا والتي لم نكن نشعر بها وقتئذ لاننا لا نستطيع الحركة من ناحية ومن جهة اخرى فأن الاوجاع تغطي كل جزء من اجسامنا •

خرج الدكتور الامام بعد ان وعدنا بلطف وعلمنا (بعد ذلك) انه ذهب حالا الى رئيس اركان الجيش احمد صالح العبدي وبحضور طه الشيخ احمد وقد وجه لهما الكلام معا وصارحهما بان هذه الاعمال الوحشية من التعذيب لم تحدث حتى في العصور البربرية السحيقة وكان جوابهما له على ذلك ان احيل على التقاعد بعد ايام ؟!

مر هذا اليوم كالايام التي سبقته وحالتي تـزداد سـوء بسبب الحرارة المرتفعة التي لم تمهلني ولو ساعات وقد جلبوا لي بعد الدوام كبسول اكرومايسين عدد ١٦ حسب امر الدكتور محمد علي الامام حيث شعرت بتحسن في المساء اما القيء والغثيان فكانت تقطع امعائي مما جعلني اعزف عن كل شيء سوى بعـض (الشيف) من اللالنكي فقـط ٠

عندما انخفضت درجة الحـرارة نسبيا وارتحت قليـلا تعـاون مضمد وخادم ونزعاني ملابسي ٠ وهي القاط الازرق الذي لا زلت ارتديه طيلة هذه الايام ليلا ونهارا ٠٠ ولم اشعر بآلام شديدة كالتي شعرت بها سابقا عند تحريكي من جهة الى اخـرى ٠ امـا ملابسي الداخلية فكنت احسها لاصقة على جلدي ولهذا لـم يفكـر المضمـد والخادم بنزعها بل تركاها الى يوم آخر !!

الجمعة ٣-٤-١٩٥٩ :

لا زلت ملقى على السرير دون ان استطيع تحريك اي جزء من جسمي عدا رأسي فباستطاعته الالتفات ذات اليمين وذات الشمال في هذا اليوم والايام التي بعده بدأنا نشتهي اشياء كثيرة دون ان نستطيع تناولها فقد اشتهينا اللبن وذهب الخادم فعلا وجلب لنا اللبن من القرية ولم يستطع اي منا ان يأكل منه اكثر من ملعقـــة ونص على اكثر تقدير ٠٠ ولم يزرنا هذا اليوم لا مضمد ولا طبيب !

اشتهينا شوربة وقـد اوصينا المتعهـد ان يعمـل لنا الشـوربة في اليوم التالي ولكن مـا أن وضعت نصف ملعقـة في فمي ونفدت رائحتها في جوفي حتى رميت ما في معدتي من ماء وعصارات معدية ٠٠

اما اكثر شيء اشتهيناه وبقينا نتمناه لمدة طويلة هو الرقي وكنت اتخيل الباعة ايام الصيف وهم يتنادون بشرائه ولكن ذلك كان بعيد المنـال !!

الاخ الاستاذ احمد حسين الربيعي يترك سريره ويتخطى على مهل ليجلس بجانبي ويقرأ على مسامعي الشعر والحكم وصنوف الادب وهو يحفظ الكثير .. وما اروع الاستاذ احمد وهو يقلد الرئيس جمال عبدالناصر بخطاباته (ايها الاخوة .. الخ .. كلنا سنعمل .. الخ نسالم من يسالمنا ونعادي من يعادينا .. الخ .. الخ) .

بل ما ابهجه عندما يخرج يده من الشباك وهو يداعبني :

ـــ راجي ؟ انظر .. الآن يدي في الحرية .. فمتى نكون كلنا طلقاء ونرتع في ظلال الحرية ؟!.

السبت ٤-٤-١٩٥٩ :

اطل علينا الدكتور شاكر الجنابي هذا الصباح .. وكان كعادته يأتي لزيارتنا في الصباح لمدة خمس دقائق .. واخبرنا بان الدكتور محمد علي الامام مهتم بارسال لجنة طبية لفحصنا والاشراف على علاجنا وخاصة طبيب عيون وجراح وطبيب اذن وانف وحنجرة .

في هذا اليوم اعطاني الاخ حافظ المرآة لارى وجهي ولكنني لم استطع مسك المرآة فتبرع الخادم وهو شاب قصير كردي يتكلم العربية ممزوجة بالكردية وكان لطيفا معنا ويؤدي لنا خدمات كثيرة وعندما امسك المرآة امام وجهي لم اصدق ان كان هذا وجهي حقا فقد كان شبحا لوجه غطته الكدمات وهيكل عظمي مغلف بجلد اثخنته الجراح دون اثر للحياة ..

كانت عيني اليمنى تغطيها هالة زرقاء واسعة اما اليسرى فمزيج من الاحمرار المشوب بزرقة معتمة اما الجانب الايمن من وجهي واذني

فقد انسلخ الجلد عنه وحلت مكانه كتل من الدماء المتجمد .

الشعر ينبت على وجهي بكثافة حيث مضت ستة ايام دون حلاقة ..

لم ارغب ان اطيل التحديق في وجهي اكثر من تلك اللحظة الخاطفة حيث اشحت بوجهي عن وجهي الى الناحية الاخرى .

مضى ذلك اليوم دون ان يأتي أحد من أعضاء اللجنة الطبية وقد تكرم احد المضمدين اخيرا واخبرنا بان الدكتور شاكر يقول ان اللجنة سوف لن تأتي لان الدكتور رافد مشغول جداً جداً جداً ..

الاحد ٥-٤-١٩٥٩ :

كانت الساعة العاشرة عندما سمعنا من احد المضمدين بان الدكتور رافد صبحي اديب قد جاء الى المستشفى وهو الآن في الغرفة المجاورة لفحص معتقلين آخرين ..

مضت دقائق ثم فتح الباب احد الجنود ودخل رافد الغرفة يدق الارض بحذائه وكأنه بطل عاد منتصرا تحت أقواس النصر فرمقني بالحال بنظرة قوية من تحت جفنه لا يفهم مغزاها الا انا في تلك اللحظات الحاسمة ثم اشاح بوجهه الى الناحية اليمنى ولا احد يعرف ما كان يدور بخلده آنئذ الا انا حيث كنت هادئا رغم مضي سبعة ايام ولم تطأ قدماي ارض الغرفة حيث كانت حوائجي تقضى بمساعدة الاخوان والخدم ومع هذا كنت هادئا ذلك الصباح لا سيما والالم خف عن ذى قبل والحمى بدأت تزول بفضل العلاج الذي ارسله الاخ الدكتور محمد علي الامام ..

كنا ننتظر نقلنا الى مستشفى الرشيد حيث يمكن ان تؤخذ صور شعاعية لكسورنا ويكون العلاج على مدى احسن واوسع وبامكاننا مواجهة بعض الاخوان والاصدقاء واخبرهم كيف حاول الغوغاء ان

ينتزعوا الاعترافات ولأحذر الاخوان لئلا يقعوا فريسة هيأة التحقيق المتعطشة للدماء •

حسبت ان في الامر شيئا مبيتا بقدوم رافد وحده في حين المفروض ان تأتي لجنة طبية للنظر في امر نقلنا الى مستشفى الرشيد العسكري او على اقل تقدير لمعالجتنا آنيا مكونة من جراح لتضميد جراحنا وتجبير كسورنا ولم يدر بخلدي ان يأتي جراح ليهزأ مما نحن فيه !! ولكنني استطعت والحمد لله ان اهزأ به في تلك الظروف القاسية وعلى مدى الايام ••

وكنت اتوقع ان يأتي طبيب اخصائي بامراض الانف والاذن والحنجرة للنظر في النزيف الذي لم ينقطع طوال تلك الايام رغم انه لم يكن شديدا والا لكان اودى بحياتي وكذلك اذني اليمنى التي مسحتها احذية الجبناء • ومن اين لي ان اعرف ان الاخ الدكتور ناجي احمد حمدى كان ساعتئذ جالسا في غرفة الدكتور شاكر الجنابي ؟! « لانه ليس هناك من يحتاجه » كما اخبروه وعندما سألهم بانه يرغب في مشاهدة الدكتور راجي اجابوه بان راجي ليس هنا !!!

وكيف أعلم بان احدا لم يخبر الاخ الدكتور حامد الموصلي ليأتي مع اللجنة المتمثلة بالدكتور رافد وحده فقط ـ لفحص عيني اليمنى التى مضى عليها سبعة ايام ولم ار فيها شيئا يذكر حتى اعتقدت بان تلك الضربة الطائشة التي صوبها لي فريد الصفار قد اودت بها الى الابد •• ومع هذا لم يحضروا طبيب العيون لفحصها •

في هذه الاثناء اكمل رافد فحص الاخ حافظ وكتب له لاخذ صورة شعاعية لساقه ومن ثم سار بركبه المتكون من رافد يتبعه شاكر الجنابي ويحيط به المضمدون والجنود ••

ابتدرني رافد سائلا او بالاحرى زاجرا فيما اذا كنت اشكو من

شيء او احتاج الى فحص طبي !!؟

لا اعرف هل كنت احتاج حقا الى فحص طبي ؟!! او هل هناك حاجة لان اجيب على سؤاله (الوجيه) ؟!

مع هذا ورغم ما كنت فيه فكرت ان اكسب المعركة معه مرة اخرى كما كسبتها في مرات سابقات فاجبته بكل هدوء :

ــ هل تراني احتاج الى فحص طبي ؟!

فأجاب :

ــ لا ادري انت حدد !

فقلت :

ــ ان عيني لا أستطيع ان أرى بها شيئا واذني تؤلمني جدا وأعتقد انه يوجد كسر في يدي اليمنى واخر في احد اضلاع الجنب الايسر ..

اكتفيت هنا حيث لم اكن اعرف بعد ذلك ان هناك كسورا في القدمين حيث اكتشفتها بعد ان باشرت المسير والوقوف على الاقدام .

مد يده لفحصي وقلبني يمنة لفحص ضلعي الايسر وتمتم :

ــ لا يوجد كسر !

ومن ثم امسك باليدين وكانتا متورتين مزرقتين ورغم الانتفاخ كنت اشعر بالكسر واضحا في سلامية الاصبع الوسطى حيث كان يتحرك بحرية تامة !! ومع هذا تمتم الدكتور (البارع) والذي يحمل شهادة F.R.C.S. ايضا :

ــ لا يوجد كسر !

واعترضت قائلا :

ــ آني متأكد من وجود الكسر هنا فهل بالامكان التأكد بواسطة الاشعة ؟!

فأجاب باقتضاب :

ـــ لا يوجد حاجة للاشعة !

ومضى الى السرير الذي يجانبني حيث يرقد الاخ عادل ومن ثم الزعيم محمود شيت خطاب وبعدها توجه الى الباب ليخرج من الغرفة وقبل ان يصل الباب اردت ان اغمد في قلبه سهما قاتلا حيث قلت :

ـــ هل يكفي فحصك ؟ ان مدير الامور الطبية اخبرنا بان لجنة ستشكل لنقلنا الى مستشفى الرشيد ؟

لاحظت عليه الامتعاض فجأة فامسك بالباب نصف مفتوح واجاب بكلمات متقطعة اخرجها بتزمت وانفعال :

ـــ نرسلك الى مستشفى الرشيد ؟ الا تعرف ماذا كنت تفعل في مستشفى الرشيد ؟ من كان يوزع المناشير في المستشفى ؟ من كان ينظم الاطباء ؟ من كان يجمع التبرعات للخونة !؟ لا انقلكم ولا يوجد فيكم شيء وهذا كافي !!!

ـــ اذا لم يكن فينا شيء فالحاج محمود شيت كما تراه فاقد الوعي وفي دور الحشرجة فانقله وحده على الاقل لان من المحتمل ان يموت بين لحظة واخرى !

فأجاب بكلمات ثلاث فقط :

ـــ يموت الى صقر !

ومن ثم اطبق الباب خلفه بصفاقة وخرج يتمتم بكلام اشبه بنباح كلب اختنق فجأة بعظم كبير .

٦

ابني صير سبع

مرت الايام بتثاقل عجيب ولا دواء الا الكمادات الحارة التي كنت اعالج بها نفسي والتي كان غالبا يحضرها لي الاخ الاستاذ احمد الربيعي والاخ عزيز السنجرى الذي كان يرقد في الغرفة المجاورة ومن ثم نقل الى غرفتنا .. في تلك الايام الرهيبة ورغم ان العراق تحول الى سجن كبير ازدحمت المدن بالمعتقلات لاسيما بغداد ففي كل معسكر معتقل وفي كل منطقة معتقل بالاضافة الى السجون والمراكز النظامية العديدة وكان اهلي يجوبون السجون مستفسرين مستفهمين ولكن لا مجيب !؟ وان والدتي التي تخطت السبعين من العمر لم يغمض لها جفن ليل نهار ولم تعلم في الايام الاولى في اي ارض انام ؟ وهي بعد ان علمت لم تتمكن من رؤيتي اياما عديدة .. فقد كانت تأتي كل يوم وتحوم حول البناية وهي تعلم ان راجي هنا داخل هذا البناء .. اذن لماذا لا يطل عليها من احد الشبابيك ؟! وهي تعلم وتسمع ان السجناء يتبادلون الكلام والاشارات والتوصيات مع اهلهم من خلف القضبان فلماذا حرموها حتى من هذه الاشارات ؟ واسمعها من بعيد وهي تكلم من جاء معها مؤكدة :

ـــ هذا مو صحيح ميصير راجي هنا ؟ لان لو راجي هنا كان شفنا على الاقل من الشبابيك !!

اسمعها باذني جيدا ، هذه امي وهذه كلماتها وليس بيني وبينها

غير خطوات ولكن ليس لي القوة التي تجعلني اتحرك او حتى لارد عليها بصوت عال يخترق الجدران واسمعها ثانية تسأل الجندي الحرس للتأكد :

ـــ عيني صحيح راجي عباس التكريتي هنا ؟

ويكون جواب الجندي الوقح :

ـــ يالله منا .. خونة .. متآمرين .. امشوا !!

ومن ثم يوجه رشاشته الى العجوز التي جاءت تستفهم فقط هل ابنها هنا ؟ ومن ثم يختفي كل صوت فالجندي الصلف ورشاشته قد اسكتا من جاءني للزيارة ..

لابد بعدها ان يزدحم رأسي بمختلف الذكريات وشتى الهواجس .. طفولتي .. دراستي .. قضيتي التي هي قضية الشعب العراقى بل قضية الشعب العربى في كل مكان .

والدتي التي رجعت الآن كئيبة كسيرة والتي تجهل مصير ابنها وسط هذا الجو الرهيب .. احاديثها التي كانت تقصها علينا في الطفولة والتي احفظها جميعا عن ظهر قلب وكثيرا ما كانت تكرر بعض القصص والحكم على مسامعنا حيث نبتسم (مرةِ واحدة) فتفهم ان قصتها هذه معادة فتكف عن الكلام ولكننا نحلف ونصر اننا لم نسمعها قبل هذه المرة ابدا فتكمل ما تريد ان تقول . واقول الحقيقة انني استفدت كثيرا مِن تلك القصص ذات المغزى الخلقي الحميد .

واذكر في الايام الاخيرة وشرائي السيارة وقيادتي الضعيفة للسيارة لحداثة تعلمي السياقة فكنت اسمع التحذير في كل مرة ادخل البيت وفي كل مرة اغادره عشرات النصائح خوف ان ادهس احدا او اتصادم مع احد اما اذا تأخرت بالمساء بعد العاشرة فالويل لي من والدتي حيث اجدها تقف عند زاوية الباب الخارجي متطلعة الى

مدى الشارع البعيد وعلامة الاستفهام مرتسمة على وجهها بتعبير عميق فواعجبي مـاذا قالت في الليـلة الاولى ؟.. ومـاذا قالت في الليـالي اللاحقات ؟!

زحف علينا اول يوم عيد الفطر المبارك وكان يوم ثلاثاء حيث اصبحنا مبكرين ونظر احدنا الى الآخر ولسان حالنا يقول :

(عيد باية حال عدت يا عيد !)

استطعت خلال ايام العيد ان انـزل من السـرير وبمسـاعدة الاخوان خطوت بضع خطوات بين الاسرة ودارت بي الارض واصفرت الدنيا في عيني وكدت اهوى على الارض لولا ان تداركني الاخوان واضجعوني على الفراش ولكن عدت التجربة مرة اخرى وبتحسن اكثر حيث كنا نسمع عند الباب الخارجي كلاما وجدالا فهمنا منه ان اهلنا كل يوم عيد يأتون صباحا ومساء ويمنعهم الحرس بأمر عبدالكريم قاسم وزبانيته العبيد .

لابد لي اذن ان اقوم بتحية الاهل اذا سمح لهم الحـرس وفاجأوني بزيارة خاطفة فهم يعرفون جيدا اني معتقل في هذه الغرفة ولكن هل وصل علمهم اني طريح الفراش من شدة التعذيب ؟ اغلب الظن انهم عرفوا كل شيء ولكن لابد من الحـركة حتى يرجعـوا مطمئنين ولو ادى تكرار التمارين الى هيجان الآلام في انحاء جسمي لا سيما الكتف الايمن والاضلاع اليسرى واصابع القدمين .

ثالث يوم العيد عصرا سمعت جدالا عنيفا عند الباب الخارجي وارهفت السمع فميزت صوت والدتي وهي تصر على مقابلة ابنها ولو ادى ذلك الى فقدان حياتها والحرس يمنعها بكل صلافة فتحركت حالا ماجل صوت الام اللاهب حركني ومددت رجلي الى الارض ولم تستطع رجلاى المتورمتان ان تدخلا في الحذاء مما حدا بالخادم ان

يشهدهما تحت القدم وكانتا زرقاوين متورمتين والاصابع مضمدة في محلات الاظافر المقلوعة وبينما انا منهمك في ذلك اذ دخل احد الحرس وهو يحمل لي الملابس والفواكه حيث وضعها بجانبي وقال ان اهلك جاءوا لزيارتك ولكن آمر الحرس منعهم من مواجهتك ولا ادري كيف انتزعت اللفاف وقطع الكارتون التي وضعتها فوق كسر اليد الذي بدا بارزا من محله واضحا للعين المجردة (والذي يعتقد رافد بعدم وجوده) •

وخرجت اجر اثقال جسمي واحثها للخطا للامام ووصلت باب الحجرة الخارجي منهوكاً وكدت اسقط مغشيا علي واذا بالحرس قد منعوا اهلي حتى من البقاء على الباب الخارجي للمستشفى وان والدتي واخواتى واخى ناجى واخى ضامن وابن خالى هادى قفلوا راجعين يائسين واصبحوا على بعد مائة متر أو يزيد عني ولما لم يقطعوا الامل من مشاهدتي كانوا يمشون ويتلفتون كل خطوة الى الوراء وما ان رأوني ورفعت يدي قليلا حتى صاحوا بصوت واحد :

ـــ هي •• راجي •• راجي !

ولن أنس ذلك المنظر للحارس الذي حاول ان يتصدى لمنعهم ولم يتردد ان يسدد البندقية التي يحملها نحوهم فما كان من الام الا ان تدفعها جانبا ويأتون مسرعين نحوي وما ان وصلتني الوالدة وكانت السابقة رغم تقدم عمرها واحتضنتني وقبل ان تتمكن من تقبيلي سقطت على الارض متعبة والدمع يترقرق في عينيها فانحنيت وقبلت يدها واذا بالقبلة تبعث بها القوة والنشاط واذا بها تهب واقفة من جديد ومن ثم سحبت يدي وجاءت يدى المكسورة في يدها وسحبتها بصورة لا شعورية متأففاً من شدة الالم واذا بها تفهم كل شيء •

ـــ تأذيت ؟ ـ كسروا اعظامك ابني ؟! كسر الله اعمارهم ومن

ثم اضافت قائلة بكل قوة ورباطة جأش :

— ابني صبر سبع . وتجلد .

وكنت عند حسن ظنها فبعد ان مكثوا معي مدة لا تزيد على ثلاث دقائق انصرفوا جميعا وفي عيونهم دمعة وفي قلوبهم حسرة ولكنهم مع هذا رجعوا مسرورين حيث هنئوا بمشاهدة راجي على كل حال ..

اما انا فقد رجعت ايضا وفي قلبي ايمان وقوة وعزيمة وكلمات الام ترن في اذني :

— ابني صبر سبع وتجلد .

٧

عريضتان وجوابان

العريضة الاولى رفعتها الى رئيس الوزراء عبدالكريم قاسم وهذا نصها :

سيادة اللواء الركن عبدالكريم قاسم المحترم

الموضوع : قصة اعتقالي وتعذيبي

انها قصة مؤلمة ولكنها يا سيدي مهزلة مؤلمة لقد اقتلعت خمسة من اظافري وتساقطت الباقية بعد حين من اثر الضرب فكان ألمها لوقت ما وكسرت خمسة من عظامي وتألمت ولكن لوقت محدود وها قد جبرت أو كادت تجبر من تلقاء نفسها لعدم تجبيرها من قبل الاطباء المسؤولين .. عذبت بالضرب بالعصي والهراوات وتألمت كثيرا ولكن ألمها زال بعد أيام .. سحلت من شعر رأسي فكان من يسير خلفي يضربني بالرفسات .. نقلوني الى شبه مستشفى وتركوني من غير علاج ورفض الطبيب المسؤول من نقلي الى مستشفى الرشيد العسكري وتركوني وأنا انازع الموت ولكن ثق يا سيدي ان جميع هذه الآلام قد زالت اليوم او كادت .. ولكن هناك آلاما اشد واقسى وستبقى على مر الايام .

اليس من المؤلم ان يوصم الوطني بالخيانة والصادق بالكذب هل حقا انها خيانة بان يؤدي الانسان واجبه على الوجه الاكمل ولا ينتمي الى اى حزب عميل بل يعمل الخير لهذه التربة المقدسة اننا جنود

امناء في هذا الجيش فكيف نجيز لانفسنا ان نشق صفوف هذا الجيش الباسل •

لقد اخذ قسم من الاطباء في مستشفى الرشيد العسكري بتشكيل بعض التنظيمات الحزبية منهم المقدم الطبيب رافد صبحي اديب والرئيس الطبيب سعيد غدير ور•ط قحطان محمد ور•ط طارق عواد ور•ط كمال حسين ور•ط ثابت نعمان الهيتي وكذلك بعض الممرضات منهن فيوليت وزاهدة وبعض ضباط الصف واخذوا يوصمون كل من لا يسير على خطتهم بالخيانة والتآمر وغيرها من النعوت الكاذبة حتى ان اغلبهم بدأ يتخلف عن الواجب الانساني وهو علاج المرضى للانصراف والاشتغال باعمال حزبية بحتة وحتى اني دعيت مرة الى وليمة في بيت المقدم الطبيب رافد صبحي اديب ولكن عندما حضرت ادركت انها اجتماع لدعوة حزبية وبعدها وجهت الي دعوات اخرى من الجماعة نفسها ولكن رفضتها جميعا لانني أؤمن بان الجيش يجب ان يبقى نزيها فوق الميول المتضاربة وبعدها اخذوا يكيلون لي التهم وينسجون الدسائس ضد اطباء المستشفى وقد اتصلوا ببعض ضباط الصف ومنهم ن•ض• محمد حسين والعريف حميد ليتجسسوا علي ويرصدوا تنقلاتي في المستشفى وقد اخبرت الزعيم الطبيب محمد علي الامام وهو آمر مستشفى الرشيد العسكري آنذاك حيث دعي آمر المستشفى الى اجتماع ضم جميع الاطباء وطلب منهم التمسك بوحدة الصف وعدم التفرقة ثم قرأ العقوبات على من يشتغل بالقضايا السياسية وشق وحدة الصف الوطني من المراتب العسكرية • وبعدها ثارت ثائرتهم وزادت اعمالهم المشينة من مكائد ودسائس الى تقارير كاذبة رفعوها الى جهات حزبية خاصة • وهكذا اعتقلت الساعة (١٨٠٠) الاحد ٢٩-٣-١٩٥٩ واخذت الى محكمة الشعب (الطابق العلوي)

واوقفت على قدم واحدة حتى الساعة (٢١٠٠) حيث اقتادوني بعدها الى قاعة كبيرة فيها عدد من الضباط والحكام المدنيين والجنود واذكر منهم : العقيد الركن هاشم عبدالجبار والرئيس الاول عبدالرزاق الزبيدي والرئيس الاول سعيد مطر والملازم الاول الطيار فريد الصفار والملازم الاول قاسم وكمال عمر نظمي وداود خماس وغيرهم •

وانهال علي كل من كمال عمر نظمي وفريد الصفار بالضرب واللكم حتى ان احدى اللكمات كادت تؤدي بعيني اليمنى • ثم شدوا كلتا رجلي الى عمود خشبي ورفعوها الى الاعلى وضربوها ضربا مبرحا ولفترة طويلة •• وطلبوا مني ان اقول انا الذي ادخلت احمد ابو الجبن المستشفى حيث اجبتهم باني لا اعرف احمد ابو الجبن ويمكنهم معرفة من ادخله بمراجعة السجلات في المستشفى •

ثم طلبوا مني ان اقول كذا وكذا عن الزعيم الطبيب محمد علي الامام وكذا وكذا عن باقي الاطباء والضباط واخبروني بالشهادات والتقارير الكاذبة الملفقة المدونة من اناس ينتمون الى حزب معين وحاولت ان ابين لهم الحقائق ناصعة ولكنهم ارادوا ان يفرضوا علي شهادات كاذبة ملفقة لادونها واصادق عليها بالضرب بالهراوات وقلع الاظافر وتكسير العظام واستمروا بالضرب حتى اغمي علي ومن ثم اعادوا لي الوعي بالدوس بأقدامهم على رأسي حتى افقت بهذه الصورة الوحشية المفزعة واستمر التعذيب ثلاث ساعات ونصف ومن ثم سحبوني من شعر رأسي وهكذا اخرجوني الى غرفة اخرى بهذه الطريقة الهمجية والتي هي ابعد ما تكون عن الانسانية والدماء تنزف من كل مكان من جسمي من مواضع اضافري المخلوعة ومن رأسي المشجوج وانفي وفمي النازفين ••

ونقلوني وانا بين الحياة والموت الى مستشفى معتقل ابي غريب

الذي هو ابعد ما يكون عن المستشفى لم اخذ اي علاج فيه وامتنع الطبيب المسؤول رافد صبحي اديب عن نقلي الى مستشفى آخر او حتى تجبير عظامي المكسورة او تضميد جراحي ..

كل هذا جرى لي واكثر من هذا انهم منعوا عني اهلي واقاربي حتى لا يروا الوضع الذي انا فيه وحتى لا تتسرب اخبار ما عمل بنا هؤلاء الوحوش والا أي بشر هؤلاء الذين يمنعون اما في السبعين من عمرها وهي تدور حول السجن وهي تقول : دعوني ارى ولدى ومن ثم اطلقوا علي النار بينما يهددونها بالبنادق والرشاشات ان تبتعد والا فالموت مصيرها .

ارفع هـذه العريضة لسيادتكم لتتفضلوا بارسال لجنة محايدة لتحقق بالامر وتسمح لاهلي بزيارتي ومن ثم اطلاق سراحي ولكم الامر .

الرئيس الطبيب

راجي عباس التكـريتي

اما جواب (الزعيم الديمقراطي الاوحد) فلم يرسل لجنة عادلة لتحقق معنا ولم يطلق سراحنا بل كان جوابه (الاوحد) ان اوعز الى جلاوزته بان يضيقوا الخناق علينا رغم اننا داخل غرفة مظلمة ويحرموا علينا الهواء من جميع النوافذ ويمنعوا كل شيء عنا من لباس وزاد مما كان يرسله لنا الاهل بيد الجنود دون ان يرونا .

لم يكتفوا بهذا بل حتى منعوا ادخال اي قلم او ورقة بعد ذلك حيث ان اوراق العرائض اشتراها لنا جندي من الحانوت القـريب ولكن بعدها حرموا اي ورقة او قلم وجعلوها من المحظورات التي لا يمكن اغفالها .

واذكر بهذه المناسبة بعد ان اصابنا ملل الاعتقال وقد انقطعنا عن الحياة في الخارج تماما ولم نعد ندري ماذا يجري بالخارج لانهم حالوا بيننا وبين اي صلة من الخارج اشتقنا ان نقرأ (القرآن الكريم) فطلبت من الدكتور شاكر الجنابي حيث تربطني به رابطة زمالة وهو الطبيب المسؤول عنا بان يسمحوا لنا بادخال (القرآن) من اهلنا وهذا ليس جريدة ولا كتاب سياسي وانما هو كتاب الله فما كان من الدكتور شاكر الا ان اجاب : والله راجي ممنوع اي كتاب يدخل عليكم حتى القرآن !!

وهكـــذا كـــان !

اما العريضة الثانية فقد رفعتها الى نقابة ذوي المهن الطبية بعد ان خرجت من المعتقل وهذا نصها :ـ

سيادة نقيب ذوى المهن الطبية المحترم :

ليسمح لي سيادتكم بان استهل مذكرتي هـــذه بتوجيه بعض العتاب وان شئت فقل اللوم للجفاء والتنكر الذي اظهـرته النقابـة واعضاؤها المحترمون • ففي الوقت الذي اعتقلت ونكـل بي وعذبت باشنع اسلوب يتصوره انسان من اناس بلغت بهم درجة الوحشيـة والقساوة واللاانسانية وفقدان الرادع النفسي وموت الضمير بانهـم اشد فظاظة ووحشية من الوحوش واكثر بشاعة مما نسمع في اعمال الفرنسيين والصهاينة ولا اسألكم بتوجيه العقاب او التحقيق مع هؤلاء الاوباش فان السلطات الحكومية هي المسؤولة عن ذلك وقد تتفضل وتسأل عن الاسباب فأجيبك بكل اخلاص وصدق بان اناسا أكثر ما يكونون خيانة وابعد ما يكونون عن الشرف والخلق والصدق والوطنية لفقوا علي كيلا من التهم الكاذبة ورفعوها الى جهات حزبية معينة والتي

اخذت على عاتقها تعذيب الاحرار الوطنيين لتستر على اعمالها ولتخلق من نفسها بطلة الساحة والميدان ولتحتكر الوطنية وان الوطنية والصدق والاخلاص براء منهم ومن اعمالهم .

وكلنا نعرفهم يا سيادة النقيب سواء في العهد المباد عندما كانوا وحدهم السائرين في ركاب المستعمرين واعمالهم التجسس والتمسح بعتاب أقزام وجلاوزة العهد الاسود ولكن ان ما بزغت ثورة الحرية والشرف ثورة تموز الخالدة فاذا بهذه الفئة الباغية ذات اللون المتبدل تنزع عنها ثوب الرياء والخيانة وتحاول ان تلبس ثوبا جديدا ولتغطي عن الماضي (ماضيهم الفاضح وواقعهم الدنيء واقع الانتهازية والاستغلال واقع الخيانة والتبعية) حاولت ان تقضي على من يعرفون هذه الفئات على حقيقتها وهكذا اصابني من سهامهم الطائشة فكنت احد ضحاياهم وانا من يعرفني سيادتكم كما يعرفني جيدا رئيس الجمعية الطبية الدكتور (صادق الهلالي) !! ويعرف مواقفي الوطنية عندما كنت طالبا في الكلية الطبية وانا اعرف نفسي تمام المعرفة ويعرفني كافة اخواني وزملائي منذ نعومة اظافري وحتى هذه اللحظات. فانا ذلك المتفاني المخلص لوطني وعروبتي وجمهوريتي ولهذه التربة المقدسة وقوام ذلك الشرف والصدق والامانة والاخلاص في كل عمل اعمله .

اما اولئك الذين لا يعرفون للشرف معنى ولا للاخلاص وجها فاعتقدوا ان الوطنية هي الارتماء في احضان بعض السفارات والتجسس لمصلحة فئات واحزاب معينة وحاشا لله والوطن ان ينزل ويسف الى هذا الدرك المشين كل ذي ضمير .

ولا اريد او اطلب من النقابة محاسبة امثال اولئك الاوغاد ولو ان بعضهم ينتمي الى نفس النقابة والجمعية الطبية والتي أنا عضوا في كلتيهما لان الزمن كشفهم على حقيقتهم وجردهم امام الملأ والتاريخ

وسينالون عقابهم ان شاء الله ولـكن الذي كنت ارجوه من النقابة أو الجمعية عندما علمت ان احد اعضائها يصارع الموت وهو ملقى بغير علاج وهو عبارة عن حطام وبقية من روح •

اجل هل كان بامكان النقابة او الجمعية الطبية ان لا تنساني حيث انها لم تنس سيادة الاستاذ (صادق الفلاحي) ولا سيادة الاستاذ (كاظم فرهود) عندما كانت تزف اليهم التهاني باسم النقابة وباسمي انا وانا انازع الموت وتنشر ذلك على صفحات الجرائد فهـل كلفت النقابة نفسها للاستفسار عني ولو بأيام قبل ان يصلها خبر وفاتي •

وهل وجدت النقابة (المهنية !!) ان واجب المهنة يحتم عليها ان تزف البشرى لصادق الفلاحي وكاظم فرهود عنـد انتخابهـمـا بنفس الحماس والسرعة التي اظهرته امريكا وروسيا وانكلترا عند اعترافهم باسرائيل على حين انها لم تكلف نفسها مشقة نعي الزميل الشهيد الدكتور احسان خير الله الا بعـد ان تعالت صيحات الاستنكار لهـذا الموقف في كل مكان •

كذلك لم ينس اعضاء النقابة او الجمعية الطبية التأيبد الذي رفعوه الى ما يسمى بالجبهة الوطنية وكذلك احتجاجهم على تجميد الحزب الوطني الديمقراطي حيث لا ناقة لهم في هذا ولا جمل •

فالنقابة مهمتها مهنية بحتة وبحل مشاكل الاعضاء ولجمعية علمية ولا يوجد لها أي علاقة بالسياسة فما هذه الاعمال التي تتنافى والاهداف التي انتخبناكم من اجلها او بالاحرى الأهداف التي انتمينا للنقابـة والجمعية الطبية بموجبها •

الهذه الاعمال تم انتماؤنا للنقابة وللجمعية الطبية ؟ ومن الذي سمح لكم يا سيادة النقيب ويا سيادة رئيس الجمعية الطبية بان تزجوا انفسكم بمثل هذه الاعمال الحزبية الضيقة في حين ان واجبنا مـن

صميم اعمالكم تماهلتم عنه بل وتقاعستم وحتى لم تكلفوا انفسكم باخبار السلطات على الاقل بما يلاقيه اعضاء نقابتكم من اضطهادوتعذيب لم يفعله حتى هولاكو باسراه ؟.

وعندما كنت يا سيادة النقيب ملقى على فراش المرض او فراش الموت قد جاء (النطاسي) الدكتور رافد صبحي اديب وانت على ما اعتقد تعرف ويعرف الجميع من هو الدكتور رافد !! اجل لقد عين الدكتور رافد لفحصنا وعلاجنا والنظر في نقلنا الى مستشفى آخر حتى يتسنى لنا العلاج الكافي ولكن رافد امتنع عن فحصي وعلاجي او حتى نقلي الى مستشفى آخر غير معتقل ابي غريب وقد اخبرته فعلا باني اشك بوجود كسور في يدي اليمنى وقدمي وأحد اضلاعي اليسرى فلم يأبه بذلك وامتنع عن كتابة الاشعة للتأكد من ذلك ولم يكتف بذلك بل انهال علي بوابل من السب والشتم البذيء الذي يترفع ان يقدم عليه اولاد الشوارع واخذ يشمت بي وبحالتي هذه واستشهد على ذلك بمن كان معي من المرضى وهم الدكتور عادل البكري والرئيس عبدالحافظ عبدالقادر والملازم الاحتياط احمد حسين الربيعي ولا استطيع ان اصف لك حالتي في ذلك الوقت الذي كنت فيه اقرب الى الموت منه الى الحياة فقد بقيت خمسة عشر يوما لا استطيع ان اتحرك من الفراش او احرك اي عضو من جسمي واتقيء كل شيء أضعه في فمي حتى الماء والدم ينزف من انفي وفمي وكذلك ادراري الذي يخرج ممزوجا بقطع جامدة من الدم والبروتينات المتفسخة وفي اماكن الاظافر الخمسة المقلوعة من اصابع القدمين .

وقد اظهرت الاشعة التي اخذتها فيما بعد كتبها دكتور آخر من غير علم الدكتور المسؤول الاول رافد بان خمسة عظام في مشط اليد اليمنى ومشطي القدمين مكسورة . ونظرا لعدم علاجي في الوقت

المناسب فقد انحرفت العظام المكسورة وهي لما تزال لحد الآن • وحدثت اختلاطات كثيرة منها تقيح الجروح واماكن الاظافر وحتى التهاب العظام Osteomyelitis واشتداد الحمى لفترة طويلة وهنا اشير أيضا بان الدكتور شاكر الجنابي والمشرف على علاجنا انصاع لاوامر وتوجيهات وارشادات رافد وانه لم يكتب لنا طبلات علاج يصف بها حالتنا ومرضنا وحتى مجرد مخطط للحرارة والنبض امتنع عنه ايضا •

وكذلك ما قام به رافد امامي وامام جميع الذين ذكرتهم وذلك عندما اصيب الزعيم الركن المتقاعد محمود شيت خطاب بتسمم الدم واعراضه واصبح قاب قوسين او ادنى من الموت رفض (رافد) جلب طبيب اخصائي بالامراض الباطنية بل خرج وهو يقول (واذا مات الى صقر) •

وكذلك ما قصه علي بعض الاخوان الذين كانوا معتقلين في محلات أخرى وما لاقوه من الاذى من الدكتور رافد صبحي اديب وزمرته وتلامذته مثل الدكتور طارق عواد والدكتور سعيد غدير والدكتور قحطان محمد والدكتور عبدالغني عزيز • حيث كانوا ينتدبون لعلاجهم ولكن عوضا عن العلاج يوجهون لهم وابلا من السب والشتم والاهانات بل ويضربونهم على محلات الكسور والجروح والرضوض ومن الذين اصابهم هذا الاذى والاهانات العقيد الركن المتقاعد عبدالمجيد سعيد والدكتور حازم البكري والرئيس سالم زيتو والرئيس عبدالمنعم حميد والمقدم الركن المتقاعد عزيز احمد شهاب والعقيد المتقاعد ابراهيم الكيلاني وغيرهم •• بل قصوا على مسامعي حوادث أغرب من الخيال مما لاقوه من علاج ناجع ! من هؤلاء المحسوبين ظلما وعدوانا على المهنة الطبية •

واختتم القول يا سيادة النقيب باني أصبحت أذوب خجلا ويتندى

جبيني بالعرق عندما افكر مجرد تفكير باني انتمي الى المهنة التي ينتمي مثل هؤلاء الاناس المجردين من المثل الانسانية السامية والذين مرغوا سمعة المهنة الطبية على ارض قذرة ولطخوها بلطخات سود قاتمة واني لمنتظر ما قد تقوم به النقابة ولجنة الانضباط والجمعية الطبية بالتحقيق في هذه القضايا وانقاذ شرف وسمعة المهنة الطبية بان تحقق في الموضوع وتوجه العقاب الصارم الذي يستحقه مثل هؤلاء الاطباء على اعمالهم تجاهي وتجاه المرضى الآخرين والتي تتنافى والانسانية وتتنافى مع المثل العليا والصفات التي يجب ان يتحلى بها الطبيب المخلص الشريف على سمعته وسمعة مهنته .

الدكتور راجي التكريتي

اما جواب النقابة فلم تحقق في الامر ولم تعر اقل اهتمام لعريضتي التي اخذت طريقها المعتاد الى سلة المهملات ! ومعها حق حيث كانت سكرانة بنشوة رفع برقيات التهاني الى جهات معينة ورفع برقيات الاحتجاج الى جهات اخرى .

وقد اعتذر رئيس لجنة الانضباط في اتخاذ اي اجراء بحق هؤلاء الاطباء لان العلاج كان في اثناء مدة الدوام الرسمي وهكذا رفعتها الى مدير الامور الطبية حيث احيلت الى رئيس اركان الجيش ومن ثم الى لجنة تحقيق خاصة .

اما برقيات الاحتجاج فاكثرها كان يرسلها النقيب (الديمقراطي) الى سلطات الجمهورية العربية المتحدة (كما جاء في الكراس التي اصدرتها النقابة ـ نقابتنا عام ١٩٥٨ – ١٩٥٩) احتجاجا على تعذيب سعيد الدروبي وفرج‌الله الحلو (ويظهر ان النقيب كان يسمع انينهم !!) اما نحن الاطباء الذين كنا ننشر في معتقلات قاسم نئن من شدة الكسور

والتعذيب فان نقيبنا الهمام لا يدري ! اما لماذا لا يدري فـلانه لا يدري ! •

اما برقيات التهاني فانها كثيرة جدا وهذه واحدة منها نشرت في جريدة البلاد الاثنين ١٥ حزيران ١٩٥٩ العدد ٥٥٣٩ وهذا نصها :ـ

نقابة ذوي المهن الطبية تبارك مؤتمر الشبيبة الديمقراطية الاول

لقد طفحت ايامنا الغر التي نعيشها اليوم بانجازات ثورتنا الجبارة تتوالى تنشىء المعجزات وتبني البطولات بقيـادة حكيمة بنـاءة آمنت بالشعب وبقيادة الشعب متمثلة في شخص زعيمنا الاوحد ابن الشعب اللواء الركن عبدالكريم قاسم فهي تستلهم النهج الديمقراطي السليم على اساس واقعي موضوعي تنتزعه من مفاهيمها الثورية ، وهكذا تقيم الدليل تلو الدليل على انها ثورة خلاقة قامت لتطوي عهدا اسودا مقيتا في محتواه وتقيم نظاما جمهوريا ديمقراطيا ثوريا تقدميا وضع الامور في نصابها والمقاييس بموازينها والحيـاة في مرسى قواعـدها الطبيعية المنبثقة من صميم واقع الشعب فكانت منظمـات الشعب الديمقراطية يبعثها هذا النظام واحدة تلو الاخـرى تنتشر في الصعيد لؤلؤه ينبعث نورها في مؤتمراتها التي انعقدت بهذه المناسبة •

ومؤتمركم اليوم المؤتمـر الاول لاتحـاد الشبيبة الديمقراطي العراقي لهو مشد قوى لهذا المقصود الذي يتحلى به جيد جمهوريتنا الحبيبة • واني باسم نقابة ذوي المهن الطبية ابعث لكم بخالص التهنئة مشفوعة باجمل التمنيات بهذه المناسبة الطيبة وكلي امل وايمان ويقين بان هذا المؤتمر الذي يعقده شوابنا وشبابنا الاعزاء الذين خاضوا في الماضي معارك مريرة وناضلوا نضالا طويلا ضد النظام الملكي المبـاد والاستعمار والرجعيين وقدموا تضحيات جسام في هذا السبيل لقادر على ان يكون دعامة قوية تقف وراء جمهوريتنا الفتية لدعـم انجازاتهـا

ونهجها الديمقراطي وتحافظ على مكاسبها من اجل خير الشعب ومصلحة الشعب بقيادة زعيمنا الاوحد عبدالكريم قاسم .

نقيب ذوي المهن الطبية
الدكتور وصفي محمد علي

لا اريد ان اعلق على صدق ما جاء في البرقية من (ديمقراطية وسلام) ! فالعراق يتذكر جيدا تلك الايام اللاهبات الحالكات ولكن الذي اتسائل عنه : ما علاقة الدكتور وصفي بالشبيبة الديمقراطية ؟!

واظنه - ولو ان بعض الظن اثم !! - قد تخطى مرحلة الشباب وهو الآن في طريقه الى ارذل العمر ! وهل ان الدكتور مسير ام مخير في هذه البرقية وغيرها من البرقيات الرنانة التي كان يرسلها تباعا الى صادق الفلاحي وفرهود ومن لف لفهم ؟!

وا أسفي على نقيبي وزميل مهنتي واستاذي في يوم من الايام .

٨

آمنت بالله

و

آمنت بالرجال

« ربنا اننا سمعنا مناديا ينادي للايمان أن آمنوا بربكم فآمنا »

آمنت بالله الذي لا اله الا هو الذي خلقني حيث لم اك شيئا •

آمنت بالله الذي سيرني نحو الصلاح منذ نعومة أظفاري وهداني الى الطريق المستقيم •

آمنت بالله وبدين الاسلام دين الفطرة والمحبة والعدالة والسلام •

آمنت بالله وانا الطبيب الذي ادرس دقائق الجسم البشري وارى كل يوم عجائب الخالق الذي اتقن صنع هذا الكائن العجيب •

آمنت بالله وانا المس ضراوة مبادىء الوحوش وتنكرها لكل خلق ودين •

آمنت بالله الذي احياني بعد موت اكيد حيث انهم مزقوا جسمي من التعذيب ولم يتركوا مكانا الا هشموه فايقنت ان جسمي تهرأ الا أن روحي بقيت حية تقارع الظلم حتى انني اجزم الآن بعد ما لاقيت من الضرب الموجع ان جسمي الذي ارتديه الآن ليسه بعيد انتهاء التعذيب اي بعد ان تركته مهشما في غرفة التعذيب وخرجت وانا اختال بجسم جديد تلبسه روحي التي لن تموت •

آمنت بالله وانا الطبيب الذي ادرك جيدا ان عدم تبولى يوما كاملا وفي مثل حالتي هذه معناه التسمم الذي بدوره يقودني الى الموت المحتم ولكن الله اراد لي الحياة .

آمنت بالله الذي انقذنا من ايدي الشعوبيين الحاقدين الذين كانوا يخططون لنسف المعتقلات علينا خلال العيد الاضحى فنكون ضحية غدرهم وقد شوهدت الثقوب في اسس المعتقلات التي حفروها لوضع القنابل ساعة التنفيذ ولكن الله كان لهم بالمرصاد .

آمنت بالله (الذي نصر عبده) فقد كان الدكتور شاكر الجنابي وهو المسؤول عن علاجنا ولي به معرفة زمالة وفي احدى الزيارات بدأ يشرح لي مفصلا متباهيا باعمال الحزب الشيوعي وهو يقول « احنا الآن سيطرنا على كل النقابات ، احنا الآن سيطرنا على الجيش تماما .. احنا الآن نسيطر على القوى الداخلية وكل شيء في ايدينا .. احنا الآن نرسم سياسة العراق الخارجية ...

وطال حديثه الذي يبدأ : احنا .. احنا .. فما كان مني الا أن اجبت بمرارة بكلمتين فقط :

— الله كريم !!!

ولا ادري لماذا استشاط غضبا لهاتين الكلمتين مع انه كان قد اكثر من الكلام فضرب المنضدة بيده وهو يقول :

— شوف راجي ؟ صارت كونكريت مسلح لو ينزل الله عليها ما يفلشها ؟!

ورأينا بعد ذلك كيف (تفلشت) وكيف تشتت شمل الكافرين ..

وآمنت بالرجال ..

« من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا » .

آمنت بالشهيد رفعت الحاج سري شيخ الثورة ومنظم الضباط الاحرار وفيلسوفهم وهو يردد في دفاعه امام محكمة المهداوي كلمته الخالدة التي جاء فيها : « انني اعرف المصير الذي ينتظرني وسأكون جسرا لعبور مواكب الحرية ولن ازيد تعميق الحفر » .

آمنت بالشهيد ناظم الطبقجلي بطل الشهداء وهو يقول لي حين رأى مدى تأثري بعد صدور الاحكام عليه وعلى اخوانه الشهداء : « دكتور لا تتأسى ان الزمن معنا » .

آمنت بالشهيد عزيز احمد شهاب الذي جيء به شاهدا الى محكمة المهداوي الا أن موقفه الصلب البطولي ادخله قفص الاتهام وحكم عليه بالاعدام وذهب مع رفاقه الابرار في طريق الشهادة والخلود .

آمنت بالشهيد محمد امين عبدالقادر وقد ذهبت لوداعه الوداع الاخير مع جماعة من الاصدقاء في آخر لقاء سمح لنا به وما ان رأى الدموع ترقرق من عيون البعض والبعض قد اجهش بالبكاء حتى اجابنا ثابت الجنان وهو على اقوى ما يكون من الصمود والاطمئنان :

« لا تتأثرو فانا غدا في مثل هذه الساعة في الجنة » .

آمنت بالحاج محمود شيت خطاب وهو فاقد الوعي لمدة عشرين يوما بعد ان هشم الشعوبيون الحاقدون جسده ولكن روحه بقيت

صامدة وكنا نسمعه يتلفظ في غيوبته : الله .. الله .. الله .. ولا شيء سوى كلمة (الله) التي كانت تملأ قلوبنا وارواحنا بالطمأنينة والهدوء وبعد ان رجع اليه رشده وهو لا يزال مهشم العظام حتى بدأنا نستمع الى احاديثه الغزيرة وهو ينتقل بنا عبر التأريخ ليروى لنا سير القادة العرب والمسلمين وما لاقوه في سبيل عقيدتهم من محن واهوال .

آمنت بالاستاذ الشجاع احمد حسين الربيعي الذي كان ينتقل بين اسرتنا وهو معلق اليد بعد ان حطمها الشعوبيون - حيث ربطوه على عمود ومكثوا ساعات طويلة يضربونه بعصيهم وهراواتهم ولكن روحه العالية ومعنوياته القوية وعروبته الصامدة جعلت منه صنديدا يهزأ بهم وهو مشدود على عمود التعذيب مما جعل قلوبهم تغلي حقدا فيزيدوا من التعذيب .

فكان يتحمل آلام كسوره ويسير بيننا بقلب هذا ويضمد ذاك وهو يتحفنا باشعاره وحكمه وامثاله العربيةوخطاباته (الناصرية) ايضا :

« كلنا سنعمل .. كلنا سندافع عن وطننا .. حتى يمتد وطننا من الخليج العربي الى المحيط الاطلسي » ...

آمنت بالرئيس البطل حافظ عبدالقادر الذي كان اول الزاحفين الى بغداد في ثورة ١٤ تموز وهو الآن ممدد الى جانبي الايسر وقد كسرت منه القصبة والشظية ومع هذا فلم (يكسر) ذلك السر الدفين الذي كان يحمله - اجل لقد كان يحمل مفتاح ثورة المرحوم الشواف في بغداد وفي بناية دار الاذاعة بالذات وهو ينتظر الاشارة ولكنه اخذ على حين غرة فاشبعوه سحلا وتكسيرا حتى ظنوا انه مات ومع هذا لم يبح لهم بالسر الذي كان يحمله بين ضلوعه فرموه جانبا ولم يدفنوه ولكن الله كتب له الحياة وكتب لهم الخسة والانهيار .

آمنت بالاخ الدكتور عادل البكري وما كان يتحلى به من ابتسامة

لم تفارقه مع انه كان ينظر الى اظافره المقلوعة وعظامه المكسورة وجسمه الممزق من كثرة الضرب وهو يقول بكلماته المصلاوية المحببة الى القلوب :

ابوي راجي لا تديغ بال وكيلك الله هيدي كله اتصيغ حكيات. الاضيفغ تطلع والعظام تنجبغ .. واحنا نطلع والشيوعيون غاح يتحطمون . لكن ايمته ـ هاي الله بس يعغف ...

آمنت بقوافل الشهداء التي شهدها عراقنا الحبيب وهي تسير واحدة بعد أخرى في طريق المجد والخلود ..

آمنت بكل الرجال الذين صمدوا وعملوا ولا يزالون يعملون في سبيل الحرية والاشتراكية والوحدة العربية ..

٩
صور .. وتقارير

الحقيقة ان هذا العنوان قد يبدو غريبا لاول وهلة فاين كنا من الصور والمصورين ؟ ومن اعتنى بنا حتى يكتب عنا التقارير ؟

ان القارىء سيرى ان هذه الصور المرفقة اخذت بعد اشهر كثيرة وكذلك تقارير الاشعة وتواريخها مثبتة واذا عرف القارىء انني اعتقلت يوم **٢٩-٣-١٩٥٩** فسيدرك جيدا انني قضيت هذه الاشهر كلها دون تجبير للعظام ورغم الآلام المبرحة التي تحملتها وقتها الا انها انحرفت ايضا بعد ذلك عن مكانها الطبيعي .





اخذت هذه الصورة والتي قبلها في معتقل معسكر الهندسة بعد ان نقلونا اليه من معتقل ابي غريب ، وهي لوضعية واحدة حيث ظهرت في الصورة مكان الاظافر مقلوعة بصورة واضحة .



الام وهي تزور ولدها في المعتقل تحتضنه باليد اليمنى واليد اليسرى تضعها على الصحف الموضوعة تحت العباءة • بعين تنظر ولدها وبالعين الاخرى الى الحارس عسى ان يغفل عن المراقبة لكي تدس في جيب ولدها الرسائل وتناوله الصحف •



اخذت الصورة في غرفة الاعتقال في مستشفى معتقل ابي غريب من اليمين الدكتور عادل البكري والزعيم الركن محمود شيت خطاب والدكتور راجي التكريتي والرئيس حافظ عبدالقادر .

نموذج الرقم ١٤٢٥ مطبعة الجيش ٣٢/٠٠٠/٥٠٠/١/١٩٦٢

وزارة الدفاع

مستشفى الرشيد العسكري

وحدة الاشعة والعلاج الكهربائي

تقرير الفحص الشعاعي

الاسم: راجي عباس	العضو المفحوص بالاشعة: اصبع الوسطى لليد اليمنى
الرقم والرتبة:	رقم التصوير: ٢٠٨٨
الوحدة: مستقل	تاريخ التصوير: ١٦/٤/٩٥٩
المرجع:	الارقام السابقة وتواريخها: ١٧/٤/٩٥٦

التقرير

There is fracture at the middle third of the shaft of right 3rd. mitacarpal bone.
The position is quite satisfactory.

نسخة طبق الاصل

الرئيس ... العاني

رئيس وحدة الاشعة والعلاج الكهربائي التاريخ ....

(الترجمة)

تقرير الفحص الشعاعي

الاسم راجي عباس العضو المفحوص بالاشعة الاصبع الوسطى اليد اليمنى

الوحدة مستقل رقم التصوير ٢٠٨٨

٥٩/٤/١٦

تاريخ التصوير ١٩٥٩/٤/١٦

يوجد كسر في القسم الوسطى في عظم سلامية الاصبع الثالث الايمن .

الموضعية الوضعية جدا مرضية .

التوقيع

الدكتور كمال العاني

مطبعة الجيش ٣٢/٠٠٠ر٥٠/١/١٩٦٣

ن ع ج الرقم ٤٢٥/

وزارة الدفاع

مستشفى الرشيد العسكري

وحدة الاشعة والعلاج الكهربائي

تقرير الفحص الشعاعي

الاسم ...... راجي عباس	العضو المفحوص بالاشعة مشط اليد اليمنى والقدم اليمنى
الرقم والرتبة ...... مستقل	رقم التصوير ٣٠٩٨
الوحدة	تاريخ التصوير ......
الردهة ...... خارجي	الارقام السابقة وتواريخها ٢٦/٥/١٩٥٩

التقرير

The union of the fracture of the middle third of the shaft of the 3rd. metacarpal bone of the right hand was progressed but ~~not~~ it is not complete.

There is slight deformity at the upper and lower ends of the right 5th. metatarsal bone, indicating an old fracture.

There is signs of destruction at the tip of the distal phalanx of the right big toe, which might be due to chronic osteomyelity with sequestration.

[signature]

الدكتور كمال العباسي

التاريخ ٢٦/٥/١٩٥٩

رئيس وحدة الاشعة والعلاج الكهربائي

(الترجمه)

تقرير الفحص الشعاعي

العضو المفحوص بالاشعه

الاسم راجي عباس

مشط اليد اليمنى والقدم الايمن

الوحده مستقل

رقم التصوير ٣٠٩٨

الرده خارجي

تاريخ التصوير ٢٦/٥/١٩٥٩

التئام الكسر في القسم الوسطي من عظم السلاميه الثالثه لليد اليمنى مستمر ولكنه غير كامل .

يوجد انحراف في اعلى واسفل سلامية العظم الخامس للقدم الايمن والتي تشير الى كسر قديم .

توجد علامات لتحطم رأس عظم الابهام القدم الايمن والتي تعطي علامه لالتهاب مزمن في العظم مع

حطام عظم ميت .

التوقيع

الدكتور كمال العباسي

نموذج الرقم ٤٢٥

مطبعة الجيش ٣٢/٠٠٠ر٥٠/١٩٦٣/١

وزارة الدفاع

مستشفى الرشيد العسكري ١

وحدة الاشعة والعلاج الكهربائي

تقرير الفحص الشعاعي

الاسم .... راجي عباس

الرقم والرتبة .... ر. طبيب

الوحدة .... م. ر. ع

الردهة .... خارجي

العضو المفحوص بالاشعة يد يمنى والقدمين

رقم التصوير ٤١٣٦

تاريخ التصوير ١٩٥٩/٧/٨

الارقام السابقة وتواريخها ....

التقرير

The union of the fracture of the right 3rd. metacarppal bone and right and left 5th. metatarsal bones appear to be complete with deformity.

The union of the crushed fracture of the terminal phalanges of both big toes is not complete.

There is chronic arthritic changes in the interphalangeal joints of the big toe.

كمال العاني [signature]

المقدم الطبيب

رئيس وحدة الاشعة والعلاج الكهربائي

التاريخ ١٩٥٩/٧/١٧

(الترجمه)

تقرير الفحص الشعاعي

الاسم راجي عباس

الرقم والرتبه ر. طبيب

الوحده م. ر. ع

الردهه خارجي

العضو المفحوص بالاشعه

اليد اليمنى والقدمين

رقم التصوير ٤١٣٦

تاريخ التصوير ١٩٥٩/٧/٨

التئام الكسر في عظم السلاميه الثالثه اليمنى وكذلك في عظمي سلاميات الاصبعين الخامسه في القدمين الايمن والايسر تظهر انها كامله مع انحراف.

التئام الكسر المسحوق في راس عظم الابهام للقدم الايمن تظهر انها غير كامله .

يوجد التهاب المفاصل بين عظام الابهام للقدم الايسر .

التوقيع

الدكتور كمال العاني

١٠
نهاية المأساة

خرج اكثر المعتقلين واعيد اغلب المبعدين من المدن النائية الى بيوتهم ومحلات أعمالهم ولم يحدث هذا الا بعد ان شعر عبدالكريم قاسم بتعاظم خطر الشيوعيين واستفحال امرهم وسيطرتهم على زمام الامر حتى كاد الامر يفلت من يديه ولهذا بدأ باخراج المعتقلين تباعا دون ان يراعي بذلك مدة موقوفيتهم أو درجة (تآمرهم) وانما كان يطيع (عبقريته !) التي لا تخيب فيأمر باحضار عدد معين من المعتقلين الى مقره بوزارة الدفاع ويكون الوقت عادة أول الليل وتستمر المقابلة حتى مطلع الفجر حيث لم يكن (الاوحد) يستمع الى شكواهم وسبب اعتقالهم وأكثرهم من له دور في حركة الضباط الاحرار ومشهور في مواقفه الوطنية بل اغلبهم من صانعي ثورة ١٤ تموز والذين هم أتوا بعبدالكريم الى منصبه هذا الذي سرعان ما تنكر لهم ويجلسون الآن أمامه بعد ان قضوا في معسكرات الاعتقال ما لا يقل عن أربعة أو خمسة أشهر رأوا خلالها الاعاجيب من اهانات وعذاب ليسمعوا الآن لغو عبدالكريم المتواصل الذي لا ينتهي عن بطولاته وانسانيته وعبقريته والهامه ينهيها بانه لا يدري باعتقالهم أبدا !! ويغمزهم من طرف خفي بانه أقوى من الموت وان كل تآمر على (عرشه المكين) سيصيبه الفشل .

تبدلت الاحوال فجأة بعد حدوث مجزرة كركوك الرهيبة في ١٤ تموز ٩٥٩ وكانت صورة فضيعة ختم الشيوعيون أعمالهم الاجرامية في العراق حيث وصل العراق الى حافة الهاوية وخرج عبدالكريم

يخدع الشعب في كنيسة مار يوسف بحملة مصطنعة على الشيوعيين وشعر بخطر الموقف على نفسه فأراد ان يعادل كفة الميزان فاخرج الكثير من الضباط القوميين وسلمهم مراكز حساسة للمحافظة على بغداد بعد ان اوشكت مذبحة مغولية اخرى ان تقع فيها وكذلك كلف بالاشراف على المعتقلات من أصدقائنا الذين زاملونا في السجن مدة طويلة ومنهم المرحوم الرئيس حازم الصباغ . وهنا لابد ان اشير بان المرحوم البطل حازم كان يمتاز بشجاعته الفائقة ومعنوياته العالية وابتسامته التي لا تفارقه رغم احلك الظروف التي مررنا بها ، وكان لتعيينه آمراً للمعتقل في آخر فترة أثرا جعلنا نشعر بنوع من الطمأنينة على حياتنا بعد ان أذاقنا جلاوزة عبدالكريم قاسم ولفترة طويلة صنوف الذل والهوان .

في هذه الفترة اخليت أغلب المعتقلات وخرج من سجون قاسم ما يزيد على المائة ألف (قومي متآمر) !!

لا زال حتى الآن قادة ١٤ تموز داخل أسوار السجون ففي السجن المركزي ببغداد كان الشهيد ناظم الطبقجلي والشهيد رفعت الحاج سري وكافة الشهداء الذين حوكموا فيما بعد ونفذت فيهم الاحكام .

وسجن معسكر الهندسة يزخر بالشباب الابطال ومنهم الشهيد نافع داود والشهيد محمد أمين عبدالقادر والشهيد فاضل الشكرة والشهيد محسن عموري والشهيد مظفر صالح والاخ الرئيس منعم حميد والرئيس الاول محمد سليم وذو اللسان اللوذعي الرئيس الصيدلي أمين كركجي .. وغرفة أخرى فيها الزعيم الركن شاكر محمود شكري ، والعقيد الركن عبدالكريم فرحان والعقيد عبداللطيف الدراجي والعقيد رجب عبدالمجيد والعقيد الركن عبدالغني الراوي والمقدم الركن محمد مجيد والمقدم نهاد فخري والرئيس الاول

الركن صبحي عبدالحميد • وغرفة فيها الرئيس سالم زيتو ، والرئيس الاول فيصل الخوجة والملازم الاول تحسين حليم والملازم طه حمو والملازم خلدون صديق ••• وغرفة فيها الشهيد عزيز أحمد شهاب ومعه الاخوان العقيد ابراهيم الـكيلاني والعقيد الركن يونس عطارباش وغرفتان يحتلها عشرة من المعتقلين الزعيم محمود شيت خطاب والعقيد يونس زين العابدين والعقيد الركن عبدالمجيد سعيد والرئيس الاول محمد فرج والرئيس فاروق صبري والرئيس عبدالستار الشيخلي والملازم عبدالـكريم جاسم وانا •

والحقيقة كنا نتساءل عن سبب بقائنا فان أوراقنا لم تحل الى المحكمة وقد اخبروني شخصيا في التحقيق الثاني بان سيطلق سراحي في اليوم الثاني وبينما الآن قد مر أكثر من شهر على ذلك •

وكاد السؤال الذي يتبادر الى الذهن هو اما ان نحجز لحد الآن لخطورتنا أو لان جراحنا لم تلتئم بعد وهل سنبقى الى ان تختفي كافة الآثار عن أجسامنا ؟[1] وربما كان هناك سبب ثالث لا يعرفه الا مخ عبدالـكريم قاسم السقيم •

في تمام الساعة العاشـرة من صبـاح ٣ آب قـدم الينـا الاخ المرحوم حازم وأخبرنا بان مخابرة تلفونية جاءت من الدفاع تطلب ستة منا التهيؤ لاطلاق سراحنا تبدأ بمقابلة (الزعيم الاوحد) حسب العادة التي سنها عبدالـكريم ولـكن السؤال الذي ارتسم على شفاهنا لماذا يطلبنا في وضح النهار وليس في الليل كعادته ؟

ورغم اننا اعتبرناها خدعة من خداع قاسم الـكثيرة حيث انها المرة الخامسة أو السادسة التي نبلغ فيها باطلاق سراحنا ويعلم الله ان الخبر

---

(١) لقد بقيت آثار التعذيب أكثر من عامين ولا يزال بعضها حتى الآن ظاهرا للعيان •

كان ممزوجا من الفرح والالم معا الفرح حيث نخرج من سجن دفنا فيه التعذيب والهوان والالم لاننا سنخرج الى سجن كبير أحاطه عبدالكريم بكثير من الاعوان والعمـلاء ليحسبوا لنا الخطـوات ويتجسسوا على كل حركة نتحركها وعلى كل كلمة نقولها وأقول الحقيقة ان الخبر لم يهزني مطلقا رغم انه ادخل بعض السرور الى نفسي •

اجتازت الساعة الثانية عشـرة ببضع دقائق حيث قـدم ثلة من الانضباط العسكري تحت امرة الاخ الرئيس محمدعلي عبداللطيف وحشرنا في سيارة بيكاب عسكرية : العقيد الركن عبدالمجيـد سعيد والرئيس الاول محمـد فرج والرئيس فاروق صـبري والرئيس عبدالستار الشيخلي والملازم كريم جاسم وأنا • ورغم ان الجنود كانوا يحملون الرشاشات الا انهم كانوا طيبين معنا وخاصة الاخ محمد علي•

وصلنا بنـاية الدفاع الساعة الواحدة تقريبا بعـد الظهر وفتشنا الجنود تفتيشا دقيقا ومن ثم ادخلونا الى غرفة التشريفات المدخل الى (عرين الاسد !!) وكان الضابط المسؤول برتبة رئيس وكان لطيفا معنا وأرسل لنا الشاي والحامض وكان هناك بعض الضباط حيث بادلونا الحديث وهناك شخص يرتدي الملابس المدنية ويغطي عينيه بنظارة سوداء قاتمة وقد اقتاده الاخ محمد فرج الى جهتي وعرفه بي وأخبرني بانه الصحفي يونس الطائي ذو الحضوة والجاه لدى (السلطان الاوحد) وطلب مني ان ازوده بتقرير صحفي عـن التعذيب الوحشي الذي لاقيته في سجن قاسم وشاهد آثار التعذيب التي كانت تغطي جسمي آنذاك •

اطل احد المرافقين على الغرفة وأخبرنا ان الاوحد الآن يتجول بين أبناء الشعب في محلات أعمالهم يشاركهم أفراحهم واتراحهم

ويحل مشاكلهم !! ٠

وأخبرنا آخر انه نائم حيث انه يسهر حتى مطلع الفجر يحاسب الوزراء أعمالهم ويناقشهم حول تطوير واصلاح البلد !! ٠

طال انتظارنا أكثر من ساعة حيث اتصل التشريفاتي عدة مرات بالمرافقين سائلا ومستفسرا عن مصيرنا هل نبقى ننتظر ؟ أو نرجع الى المعتقل ؟ أم ماذا ؟ لان مصيرنا لا زال معلقا باشارة من (الزعيم الملهم) ان شاء اطلق سراحنا أو شاء ارجعنا أو ارجع قسما منا الى السجن كما فعل ذلك مرات من قبل ٠

وفي تمام الساعة الثانية والنصف جاء أربعة من الانضباط الخاص (بالاوحد) وطلبوا احضارنا الى (عرش السلطان) بعد ان فتشونا مرة ثانية ٠٠ ومن ثم فتشونا في منتصف الطريق والعياذ بالله ! ٠

صعدنا الى الجناح الخاص وادخلونا الى غرفة المرافقين فأخبرونا بان (الزعيم) لديه اجتماع هام ولا يستطيع ان يقابلنا الآن ولكنه سيفعل عندما ينتهي من ذلك « يا ليت شعري أي الخبر الصحيح ؟ هل ان الزعيم ذهب يتفقد أحوال الشعب أم انه نائم لانه سهر بالليل على راحة أبناء الشعب ؟ أو انه الآن يجتمع مع الوزراء ليناقشهم مصلحة أبناء الشعب ؟ من يدري ان الاوحد عنده اجتماع خاص من نوع آخر ؟ ما دام حتى زبانيته لا يعرفون الصحيح أو ربما كانوا يعرفون كل شيء ولكن لامر ما لا يذكرون وعلى زعيمهم يتسترون ! » وكان المرافقون - والحق يقال - لطفاء معنا وعندما أخبرناهم باننا لا نزال بدون غذاء اعتذروا لانهم انتهوا من الغداء وأرسلوا لنا بعض السندويج والفواكه والشاي ٠٠

اكملنا أكل السندويج وبدأنا نشرب الشاي واذا باب الغرفة يفتح فجأ وبصورة عصبية ظاهرة يدخل الرئيس حافظ وهو

يصيح : يتفضل سيادة الزعيم ..

يدخل (الزعيم) ببدلته العسكرية الصيفية مكشرا عن أنيابه الثعلبية التي يتميز بها وقد تمنطق بمسدسه الذي لم يفارقه قط والذي لم يستعمله في حياته قط !!

وقفنا جميعا واسرعنا بوضع سدائرنا على رؤوسنا كيفما اتفق بصورة تجلب انتباه الناظرين .. للسرعة التي (باغتنا) بها (الزعيم الهمشري) .

بدأ الكلام قبل ان تستقر رجلاه على الارض وكان يتكلم بلا توقف وعن كل شيء دون ان يكمل أي شيء !! فتكلم عن التاريخ والعلم والاقتصاد والصواريخ والثورة والعروبة والديمقراطية النبيلة !! وانه دخل التاريخ وانه مفجر الثورة وانه مهندس الثورة وانه ابن الشعب وانه ابن فلاح وانه ابن نجار وانه وانه ...

كان هناك أكثر من سؤال وأكثر من استفهام نريد ان نطرحها ولكن من منا يستطيع ان يقطع الشريط المسجل قبل ان ينتهي ؟ بعد ان صال وجال في بحر من اللغو الفارغ وجه الكلام الى العقيد الركن عبدالمجيد سعيد وقال له : انك مشترك بمؤامرة الشواف وانك التقيت معه في أثناء المؤامرة .

فأجاب العقيد الركن عبدالمجيد سعيد : اني كنت في مهمة رسمية من كلية الاركان وعندما حدثت المؤامرة طلبت السفر الى خارج الموصل فطلب الشواف مواجهتي قبل ان يسمح لي بالسفر .

ــ اذن فقد ذهبت لمواجهته وقابلته في محله .

ــ نعم ولكن بطلب منه حتى يأذن لي بالسفر .

ــ لو لم تكن مشتركا معه ولو كنت مخلصا للجمهورية لقتلته وقضيت على المؤامرة .

ــ كيف استطيع ان اقتله وأنا لا أحمل سوى عصا بيدي وهو محاط بثلة من الضباط بأسلحتهم ومحمود عزيز بجانبه يحمل رشاشة ومسدس وأنا لا أملك سوى عصا •

ــ أبدا أبدا ••• الاخلاص والايمان والوطنية تحتم عليك ان تهجم عليه ولو بيديك وتقتله وتقضي على المؤامرة •

ــ بس بيدي ! شلون ! ••

ــ وهنا أشار الى الاخ محمد فرج وقال :

اسأل محمد كنا في فلسطين نقاتل اليهود بالايمان وهم أكثر وأقوى منا بالاسلحة والعتاد ••• صحيح محمد ؟

ــ نعم سيدي صحيح •

فأردف الزعيم قائلا : (آني راح اكسر رأس كل فوضوي) •

فسأله العقيد عبدالمجيد سعيد : من هو الفوضوي !؟

فانزعج الزعيم وأجاب بحدة ظاهرة : الفوضوي هو الذي يقتل ويذبح ويسحل وينهب •

وسأله العقيد عبدالمجيد قائلا :

من هو الذي يذبح ويسحل وينهب ؟؟

فأجاب الزعيم بحدة وتوتر وانفعال « آني اكولك منو هو اللي يذبح ويسحل ويقتل » •

ــ منو ؟؟

ــ هذوله يسموهم القاعدة ••• تعرف شنو القاعدة !؟

ــ الحزب الشيوعي يعمل بنظام الهرم والقاعدة هم جندي وفلاح وعامل وكلهم أفراد سذج وأنت ما سويت شيء اذا ما تمسك قمة الهرم لان القاعدة موجهة من قبل القمة وأنت لا تستطيع اعدام القاعدة لكثرتها وهي متجددة باستمرار •

— تريد اتكلي لا تسوي أحزاب ليش ماكو أحزاب شيوعية في امريكا وبريطانيا والدول المتقدمة ؟؟

— نعم اكو أحزاب ولـكن همه وين واحنه وين !

— شنو الفرق همه مثقفين واحنه غير مثقفين واني راح اثقف الشعب !

وتدخل الرئيس الاول محمد فرج وكان صلب العود محافظا على هدوئه واتزانه قائلا : سيدي هذوله الشيوعيين أساس البلاء .. اذا ما تقضي عليهم فهم يبقون يعيثون في الارض فسادا .

وهنا احمر وجه الزعيم وصرخ قائلا : أنا أقضي على الفوضويين الذين يتصدون للشعب ... الشعب هم الاغلبية ... فلاحين ... عمال ... كسبه ... اما الاحزاب كل الاحزاب ... تعرف اشكد عددهم ؟؟ .. أنا عندي احصائية مال كل الاحزاب ... كلهم ٥٪ و٩٥٪ لا ينتمون الى أحزاب وهم كل الشعب وأنا امثل كل الشعب وانت من اخوان الصفا !!

فأجاب الرئيس الاول محمد فرج قائلا :

— آني لا من اخوان الصفا ولا من أي حزب آني من حزبك .

فأجاب الزعيم بحدة ظاهرة :ـ آني ما عندي حزب .

فقال له الرئيس الاول محمد فرج : انت تكول آني من حزب الله وآني أيضا من حزب الله واني كمسلم والاسلام يدعوني ان ابشر بالعقيدة وسأبقى ابشر بها . وانت ليش ما تسويها حكومة اسلامية وتنهيها ؟

فقال له الزعيم : تريد أذب غير المسلمين بالبحر !

— الاقليات غير المسلمة عاشت وستبقى تعيش مع المسلمين ولم تحترم الا في ظل الاسلام .

وهنا ارتبك (الزعيم الملهم) وارعد :

ــ لأ لأ لأ لأ أنت عقلك زغير .. انا عقلي واسع جدا جدا واسع جدا !!! جدا .. جدا .. جدا ...

وجاء دوري في الكلام وقد كونت عنه فكرة واضحة من كلامه الذي سمعته والذي لا يعتمد لا على منطق ولا على حكمة ولا على عقل وقلت :

أنا طبيب في مستشفى الرشيد العسكري وبعد ثورة ١٤ تموز بدأ الشيوعيون بالتكتل وجمع الاعضاء والانصار للحزب وطلبوا مني ان انتمي للحزب الشيوعي وبما اني ضابط يجب ان اترفع عن الحزازات الحزبية ورفضت فقاطعني قائلا ! بعصبية : وانت ليش ما جيت گتلي ... انت كان لازم تطلب مواجهتي وتشتكي .

ــ بس سيدي منو يكدر ايشوفك وأنا أخبرت وقتها آمر مستشفى الرشيد العسكري وبدوره أخبر مدير الامور الطبية .

ــ محّد گلي ... أنت لازم تطلب مواجهتي وتشتكي .

ــ وعلى هذه التلفيقات الكاذبة أوقفت واخذوني الى محكمة الشعب حيث عذبت عذابا وحشيا وقلعت خمسة من أظافري ... انزعلك القندرة حتى تشوفها وكسروا خمسة من عظامي وهذه تقارير الاشعة موجودة معي وكل هذا من غير ذنب جنيته (ولاحظت الحنق باديا على وجهه ! ومن ثم قاطعني قائلا) :

اني طلبت منكم تقارير تكتبوها ... انت ما كتبت تقرير ؟؟

ــ نعم كتبت التقرير ولكن لا اعرف مصيره .

ــ عندي موجود وعلى هذا الميز وانا اقرأ هذه التقارير يوميا وتوجد قوانين ... توجد قوانين ... **توجد قوانين في هذا البلد ...** قوانين ... هذا البلد ... البلد .

وبعد ان غص غصة عميقة تنفس الصعداء ثم اكمل : في هذا البلد يوجد قانون والقانون يأخذ حقكم .. حقكم .. حقكم !

— طبعا القانون لازم يأخذ حقنا لان اذا القانون ما راح يأخذ حقنا نضطر ناخذ حقنا ! بيدنا !

وهنا بلغ به الانفعال اقصاه وفقد كل سيطرة على زمام نفسه وقاطعني بنباح حاد وهو يشير الي بأصبعه :

ما تكدر ما تكدر تاخذ حقك بيدك .. انا أحبسك احبسك خمسين سنة اذا تأخذ حقك بيدك اكو قانون .. قانون موجود ... موجود ... موجود ...

— بس ... انا اكول القانون اذا ما راح ياخذ حق المظلوم .. !

فقاطعني بعصبية :

ماكو .. ماكو مظلوم بهذا البلد احنا نعمل الخير بهذا البلد ماكو مظلوم ... ماكو مظلوم .

ثم انطلق بثرثرته يصف لنا ماذا يعمل وكيف يسهر وتحدث عن مشاريعه ودنكوشياته دون انقطاع وهنا أشار الي الاخ الرئيس فاروق صبري والاخ مجيد سعيد بأن اكف عن مناقشته واتركه مسترسلا بجلجلوتياته مع العلم ان المفروض به ان يسمع شكوانا وسبب اعتقالنا وتعذيبنا غير ان شيئا من هذا لم يحدث وبعد ان توقف عن (خطابه التاريخي) سألنا واحدا واحدا :

هل انت تعذبت ؟؟ فجيبه المسؤول : نعم .

هل رفعت تقريرا ؟؟ فيجيبه : نعم .

وعندما جاء الدور الى العقيد مجيد سعيد لم يوجه اليه هذا السؤال لان العقيد مجيد سعيد لم يعذب في حينه في المعتقل فالاوحد !

يعرف ذلك جيدا لانه كان محيطا بكل صغيرة وكبيرة عن التعذيب وكل ما يجري في المعتقل كان بعلمه وبأيعاز منه •

ثم قال هل بقى احد من جماعتكم ؟؟

— فأجبته على الفور - اذ كنت انتظر مثل هذا السؤال :

نعـم بقي الزعيم محمود شيت خطـاب[1] والعقيـد يونس زين العابدين •

ولاحظت مرة أخرى ان جوابي لم يلق موقعا حسنا فأسرع مجيبا :

— أوراقه عندي آني انظر بيها غيره ••• غيره ؟

ثم ذكر العقيد الركن عبدالمجيد سعيد بأن له رجاء أخير وجهه للزعيم قائلا :

ان الاطباء والخبراء يقولون بان بالامكان اعادة البصر الى الاخ الرئيس الركن نافع داود فيما اذا سـافر الى الخارج واجريت له العمليات اللازمة واذا مر الزمن فسوف يكون فقدان بصره محتوما وعليه أرجو ان ترعى الحكومة - هذا الشاب الذي فقد بصره - بارساله الى الخارج •

فأجابه الزعيم : ليش احنا ما عندنا أطباء ؟

— الاطباء يقولون هذا ولا يستطيعون اجراء العملية في العراق ويجب اجراؤها من قبل جراحين مختصين •

— سننظر بالامر ونجلب الخبراء !

« ولـكن بعد فترة وجيزة نفذ الطاغية حكم الاعدام به بدلا من معالجته وهو عمل وحشي تأباه جميع الشرائع الارضية والسماوية » •

---

(١) عنـدما اخرج الحاج محمود شيت من المعتقـل اقسم له عبدالـكريم بأنه لا يعلم بتوقيفه أو تعذيبه مطلقا •

ووجه الطاغية سؤالا للجميع قائلا ليش ماكلتولي على التعذيب ولم يخبرني به أحد « وكان في هذا كاذبا بالطبع مفتريا » •

فانبرى له العقيد مجيد سعيد قائلا :

اشلون انكلك ؟ وين نشوفك ؟ فأجاب الزعيم : بابي مفتوحة لكل واحد •

فرد العقيد مجيد : انت نعم بابك مفتوحة ولكن مغلوقة بوجه اناس انت تعرفهم جيدا وتعرف من اللي تولى غلقها بوجوههم وارجو ان تخلي صدرك ووقتك يتسع لي حتى ابين لك الأمور على حقيقتها ، فتملص بحجة انه عنده اجتماع مجلس الوزراء فقال له العقيد : تكول عندي اجتماع مجلس الوزراء واحنا وين راح نشوفك واشراح نسوي ؟ وعندها اذن لنا بالانصراف على ان نكون مخلصين للجمهورية العراقية (الخالدة !) وسار مخترقا الغرفة وعندما مرّ بجانبي أشار اليّ بأصبعه وقال :

ــ لا تصير حقود !! لا تصير حقود !!

ومن ثم دلف من الغرفة يتبعه المرافقون وخرجنا نحن برفقة الانضباط العسكري وسيارة عسكرية الى المركز العام للشرطة لاعطاء الكفالات (من أي شيء ؟ وعلى أي شيء ؟؟ العلم عند الديمقراطي النبيل عبدالكريم قاسم فقط) •

وصلنا مركز الشرطة فوجدنا هناك الاخ عاصم الآلوسي المعاون الخفر حيث ادخل المسرة الى نفوسنا بوجهه البشوش وبينما كان الحديث يدور حول الشخص الذي سيتولى كفالتنا واذا بالاخ المقدم

حماد شهاب وأخي ناجي يصلان في الوقت المناسب ويتكفلان الجميع دفعة واحدة وخرجنا وكلنا أمل وثقة بان هذا الصنم الضبابي لابد ان يتلاشى عندما تشرق شمس الحرية في يوم قريب •

الفهرست

الصفحة

كتب للمؤلف

١ ـ امراض المفاصل	طبع
٢ ـ حفلة تعذيب صاخبة	طبع
٣ ـ الصيام والصحة	معد للطبع
٤ ـ آلام الظهر	معد للطبع
٥ ـ شلل الاطفال	
٦ ـ ثلاثون عاما في صداع	

امراض المفاصل

الدكتور راجي عباس التكريتي

اخصائي الطب الفيزيائي والروماتيزم

من جامعة لنـدن

كتاب يبحث عن اهم امراض المفاصل الشائعة في العراق واسبابها والوقاية منها ومعالجتها باسلوب سهل ومبسط

يطلب من شركة دار العروبة للنشر والتوزيع

شارع المتنبي

مطبعة العاني ـ بغداد